الكفارة والفداء

قيمة ذبيحة المسيح الغير المحدودة

القس بسام مدني

مطبوعات ساعة الإصلاح

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

الفصل الأول: الكفّارة

كان الهدفان العظيمان لرسالة السيد المسيح في مجيئه إلى العالم, أولاً: رفع اللعنة التي كان يرزح تحتها الجنس البشري كنتيجة لمعصية آدم وسقوطه في الخطية, وثانياً: إعادة الإنسان إلى مرتبته الأولى عندما كان يتمتع بصورة الله وبشركة كاملة معه تعالى. وكان هذان الهدفان ضروريين لعمل الخلاص والفداء. ندعو عمل المسيح في المصالحة بين الله والإنسان بالكفّارة, وهذه العقيدة الكتابية تشكل قلب النظام المسيحي العقائدي.

ونحن نعتمد اعتماداً كلياً على الكتاب المقدّس للحصول على المعرفة الصحيحة بخصوص عقيدة الكفّارة. وغايتنا في هذه الدروس التي أذعناها على برامج "ساعة الإصلاح" هي إعطاء بياناً منظّماً لتعاليم الكتاب عن موضوع الكفّارة. وهذه التعاليم تروي ظمأ الإنسان الذي يتوق إلى المصالحة مع الله والعيش معه في شركة روحية مقدّسة.

نقرأ في إحدى بيانات الرسول بولس ما يلي عن خلاصة المعتقد المسيحي الذي كان ينادي به: "فإني سلّمتُ إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب, وأنه دُفِنَ وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب". (من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل الإيمان في كورنثوس ١٥: ٣). نلاحظ أن الرسول يعطي لموت المسيح في بيانه الموجز للمعتقد المسيحي المكان الأول والأساسي: "المسيح مات من أجل خطايانا". هذه الكلمات تشكّل خلاصة الإنجيل ولبّ الدعوة المسيحية في العصر الرسولي. وما أن نأتي على ذكر هذه الحقيقة التاريخية والعقائدية حتى تبرز إلى الوجود عدة مواضيع حيوية. وهكذا نقول: لكي نتمكن من فهم هذه الحقيقة الحيوية فهماً مع معقولاً يتوجب علينا معرفة طبيعة ما أنجزه السيد المسيح بموته على الصليب وكيف تم ذلك الأمر الهام. ومن المستحيل لنا كمؤمنين أن نقبل أي تفسير لهذه العقيدة الأساسية إن كان تفسيراً مبهماً أو غامضاً. ونشكر الله أن الكتاب المقدس يعطينا تفسيراً كافياً لموت المسيح, ذلك التفسير الذي يتطلبه العقل المستنير بعمل الروح القدس والذي من واجب سائر المؤمنين أن يصلوا إلى معرفته معرفةً كافية. وبما أننا نعتقد بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله للإنسان, فإن تعاليم الكتاب عن موت السيد المسيح كان يقصد منها أن يفهمها المؤمنون العاديون من رجال ونساء. ونحن نتمسك بهذه التعاليم الكتابية ونعلم أنه من واجبنا أن "نفتش الكتب" تحت إرشاد الروح القدس لنصل إلى تفهّم كل ما أعلنه الله في كتابه عن موضوع الكفّارة.

ويجدر بنا أن نذكر بهذا الصدد أنه من المستحيل لنا أن نوضح هذا الموضوع إيضاحاً تاماً وكلياً أو أن نتفهمه تفهماً تاماً, هذا غير ممكن حتى في الأمور الطبيعية مثل الكهرباء والجاذبية وطبيعة الإنسان وحياته العقلية والجسدية. إلا أن الخطوط الرئيسية لتدبير الله الخلاصي هي معلنة بكل وضوح في الكتاب المقدس, ومن امتيازنا, بل من واجبنا أن نطّلع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على هذه الأمور بالمقدار الذي شاء أن يكشفه الله لنا في وحيه المقدّس. ولقد أخبرنا تعالى بأننا نحن البشر أعضاء في الجنس البشري الواحد والساقط وأنه تعالى بذل ابنه الوحيد يسوع المسيح لأجل فدائنا وإنقاذنا من حمأة الشر والخطية, وأن هذا الخلاص والإنقاذ والتحرير يتم من الله وليس بواسطة أي أعمال يمكننا أن نقوم بها. كل إنسان يقبل هذه الحقائق ويتصرف بموجبها يختبر الخلاص. ولكن ذلك يشكّل حدّاً أدنى للإيمان إذ أن الله يتطلب منّا أيضاً أن ننمو في إيماننا ونوسّع معرفتنا بمقدار عظيم لطريق الخلاص.

وتمهيداً لموضوع الكفّارة علينا أن نتذكر بأن الله بعدما خلق الإنسان وضع بعض شرائع أخلاقية لتنظيم وتنسيق حياة الإنسان. وكذلك كشف الله بكل وضوح عن أن عدم إطاعة هذه القوانين والشرائع سيؤول إلى عواقب وخيمة وأن القصاص سيكون هائلاً ! وقد أُعطيَ الإنسان لامتحان طاعته لله تعالى أذناً بأن يأكل من جميع شجر الجنة ما عدا شجرة معرفة الخير والشر. قال الله عن هذه الشجرة المحرّمة: "في اليوم الذي تأكل منها موتاً تموت" ومن المؤسف جداً أن الإنسان تحدى وصية الله وثار عليه وأكل من الشجرة المحرّمة. وعصيانه هذا لم يؤد فقط إلى فساد حياته وطبيعته الأخلاقية بل جلب عليه وعلى نسله القصاص المنوّه عنه في الوصية الإلهية. ونرى فداحة خطية الإنسان الأول نظراً لمقدار تلك الأمور العظيمة والباهرة التي كان يتمتع بها ومعرفته السابقة لعواقب تحديه للإرادة الإلهية. أدت جميع هذه العوامل إلى إظهار فظاعة خطية الإنسان وأنه ويا للأسف الشديد قد نقل ولاءه من الله إلى إبليس الرجيم. ولم يُفسِد آدم نفسه فقط بسقوطه في الخطية بل أفسد الجنس البشري بأسره إذ أن الله تعالى كان قد عيّن آدم ممثلاً ونائباً عن البشرية بأسرها. ولو ترك الله الإنسان ليواجه عقاب سقوطه في الخطية لاختبر الإنسان ليس فقط الموت الجسدي (أي انفصال الجسد عن الروح) بل الموت الروحي أيضاً (أي الانفصال الأبدي عن الله ومن ثم التقدم اللانهائي في الخطية والألم) وهذا بالفعل ما حدث لإبليس ولأعوانه الشياطين الذين كانوا ملائكة وسقطوا في الخطية فتركوا لاحتمال عواقبها الوخيمة والفظيعة.

وعندما سقط الإنسان في الخطية وفي الشر, أصبح من الناحية الروحية والأخلاقية, نجساً ومجرماً لا رغبة له ولا مقدرة لإصلاح ذاته! ولم يكن هناك أي عضو من أعضاء الجنس البشري قادراً أو راغباً في أن يأخذ مكان الإنسان أو أن يتحمل عنه الآلام والموت وينقذه إنقاذاً فعلياً من سيطرة إبليس ومن عبودية الخطية الغاشمة.

وكم من حسن حظ الإنسان أنه كان هناك من هو قادر وراغب في القيام بإنقاذه من الموت! نعم إن السيد المسيح (وهو الأقنوم الثاني في اللاهوت الأقدس) تجسّد أي أخذ على نفسه طبيعة بشرية حقيقية فأنجز للإنسان عملاً مزدوجاً: أولاً احتمل عن الإنسان العقاب من آلام وموت, وثانياً أعاد للإنسان الحياة والقداسة وذلك بواسطة طاعته التامة للشريعة الإلهية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهكذا افتدى المسيح المخلّص جمهوراً عظيماً من البشر لا يمكننا أن نحصي عدده. فكم هي لائقة إذن كلمات الرسول بطرس الموجهة للمؤمنين: "إنكم افتديتم لا بأشياء تفنى, بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلّدتموها من الآباء, بل بدمٍ كريمٍ كما من حمل بلا عيب ولا دنس: دم المسيح" (من رسالة بطرس الأولى ١: ١٨ و١٩) وكم عذبة وحلوة هذه الترانيم السماوية المسجلة لنا في سفر الرؤيا والتي تترنم بعمل المسيح الفدائي والكفّاري:

"مستحقٌ أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحتَ واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة! وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك الأرض!" (٥: ٩ و١٠).

"البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى أبد الآبدين!" (٧: ١٢).

"عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء, عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين! من لا يخافك يا رب ويمجّد اسمك لأنك وحدك قدّوس لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك لأن أحكامك قد أُظهرت!" (١٥: ٣ و٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني: ذبيحة المسيح وقيمتها غير المحدودة

يظهر السر الرئيسي في موضوع الكفّارة في أن الله يختار بأن يقبل آلام السيد المسيح التي لم يستحقها كبديل عادل عن العذاب الذي يستحقه الخطاة. وما أن نذكر هذا المر حتى تبرز إلى الوجود بعض الأسئلة: كيف يمكن لعذاب أو آلام شخص بريء أن توضع لحساب شخص مجرم بطريقة يتحرر فيها الشخص المجرم من التزام العذاب؟ وكيف يمكن للآلام التي تحملها السيد المسيح بأن توضع لحساب أو لمصلحة شعبه وكيف يمكن لتلك الآلام بأن تكون كافية لخلاص ملايين من الجنس البشري, أو حتى لجميع شعوب العالم فيما إذا وثقوا به واتكلوا عليه للخلاص؟

إن الجواب على هذه الأسئلة وعلى ما يشابهها يتطلب منا مواجهة الحقائق الكتابية المختصة بالسيد المسيح. إنه له المجد الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس فهو إذن ذو قيمة غير محدودة وعظمته لا نهائية. وهكذا فإننا لا نتردد مطلقاً في القول بأن صلب المسيح لم يكن أكبر جريمة في التاريخ فقط, بل لو أن الجنس البشري بأسره قد صُلِبَ, لبقيَ صلبُ المسيح أشد جرماً من ذلك! ويخبرنا بهذا الصدد أشعياء النبي بأننا عندما نقابل الإنسان بالله فإنه تعالى عظيم لهكذا درجة حتى أن "هوذا الاسم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تحسب". (نبوة أشعياء ٤٠: ١٥).

ويعلّمنا الرسول يوحنا عن ألوهية السيد المسيح وعن عمله في الخليقة ما يلي: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله .... كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان .... كان في العالم وكوّن العالم به ولم يعرفه العالم". (الإنجيل حسب يوحنا ١: ١ و٣ و١٠) ويُصرّح الرسول بولس بأن "الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه". (الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥: ١٩) ويضيف في موضع آخر: فإنه فيه – أي في السيد المسيح – خُلِقَ الكلّ, ما في السموات وما على الأرض, ما يرى وما لا يرى, سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلِقَ. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل. (الرسالة إلى كولوسي ١: ١٦ و١٧).

وعندما يُخبرنا موسى النبي عن موضوع الخليقة في سفر التكوين نرى أيضاً دلائل تشير إلى الثالوث الأقدس: "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته". (سفر التكوين ١: ٢٦ و٢٧) أما بولس الرسول الذي كان يكتب أثناء حقبة العهد أو النظام الجديد فإنه تكلم عن هذه الحقيقة في كلمات أكثر جلاءاً حينما قال بأن عظماء هذا العالم "صلبوا رب المجد!" (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٢: ٨) أو حينما أشار إلى "كنيسة الرب" أو "كنيسة الله" التي اقتناها بدمه أعمال الرسل ٢٠" ٢٨). وهكذا لا نكون مغالين إن قلنا بأن صلب المسيح يسوع إنما كان جريمة فظيعة للغاية! ومهما قيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عن عمل المسيح هذا – أي عن الكفّارة – فإنه من المؤكد بأن الدّين الذي دفعه السيد المسيح لم يكن أقل قيمة مما كان قد دُفع فيما لو تُرك جميع الذين قد افتداهم المسيح ليحتملوا عقابهم الخاص!

وعندما نقرأ نحن الذين اختبرنا فداء المسيح نصَّ حادثة الصليب علينا بأن نتذكر بأننا نحن أيضاً كان لنا يد في تلك الحادثة الرهيبة لأن المسيح مات عن خطايانا نحن, وكبديل عنا – بغض النظر عما إذا كنا أو لم نكن من أولئك الذين طلبوا موته أو دقّوا المسامير في جسده الطاهر!

ويتوجّب علينا أن نُبقي أمام أعيننا هذه الحقيقة الناصعة لنستطيع فهم عمل الكفّارة الذي أتمه المسيح, ألا وهي أنه له المجد تمتع في آن واحد بطبيعتين: الواحدة إلهية والأخرى بشرية, وأنه كان قد تألم ومات على الصليب في طبيعته البشرية. لنُلقي نظرةٍ على أنفسنا: نحن البشر يتكون كل منا من شخصية واحدة ولكننا نعلم بأننا في الوقت نفسه نتمتع بطبيعتين في وحدة واحدة حيوية وهما: الطبيعة الروحانية والطبيعة الجسدية, ومهما قيل بخصوص أي من طبيعتنا يمكن قوله أو تثبيته أيضاً عن شخصيتنا الواحدة. مثلاً إن كان أحدهم صالحاً أو مفكراً أو حاذقاً أو سعيداً أو حزيناً, فأننا نقول عنه كشخص أو شخصية واحدة بأنه يتمتّع بهذه الصفات وإن كانت هذه حالات روحية أو جسدية. لنفرض أن أحدهم يزن مئة وخمسين كيلوغراماً أو أنه يتألم من ساق مكسورة أو من مرض مخيف, فإننا نقول عنه كشخص أنه يزن بهذا المقدار أو أنه يتألم من هذا المرض أو ذاك. ومع أن طبيعتنا الروحانية هي أكثر أهمية وأكثر تسلطاً من الطبيعة الجسدية إلا أنه مهما يحدث لنا في احدى الطبيعتين ينسب إلينا كأشخاص. وهكذا أيضاً في شخص أو أقنوم السيد المسيح: كانت طبيعة المسيح الإلهية أكثر أهمية وتسلطاً وسيادة من طبيعته البشرية, ولكن بما أن الطبيعتين كانتا متحدتين اتحاداً حيوياً, فما اختبره السيد المسيح في كليهما فانه يكون قد اختبره كشخص أو أقنوم واحد. وهكذا يمكننا القول بأن موت المسيح على الصليب, والذي بواسطته أنجزت الكفارة, كان حادثة هامة للغاية, بل أنها أهم حادثة في تاريخ الكون بأسره.

فعندما وقع الإنسان في الخطية كان لا بد من كفارة ما عن خطيته إن كان الله سيقوم بالعفو عن الإنسان. عدالة الله تتطلب أن يقاصص الإنسان الخاطئ. كانت الشريعة

التي وضعها الله في البدء تنص على أن قصاص الخطية هو الموت. وهذا الموت يتضمن ليس فقط هلاك الجسد بل أيضاً انفصال الروح الأبدي عن الله. وهذه الشريعة الأساسية غير قابلة لأن تلغى أو أن يبطل مفعولها. فالله لا يغير طبيعته أو ذاته وهو تعالى لا ينسى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قداسته وعدله! وهكذا كان لا بد من معاقبة الإنسان عندما ثار على الله وعصي على أوامره المقدسة.

ولكن الله أظهر طريقته الفعالة لمعالجة هذه الحالة المحزنة في وضعه موضع التنفيذ مبدأ أو قانون التألم النيابي, ذلك المبدأ الذي كان يظهر بصورة حسية في نظام الذبائح الذي سنه موسى النبي في فجر تاريخ بني إسرائيل. ولكن تلك الحيوانات التي كانت تقدم كذبائح في أيام النظام القديم لم تكن في ذاتها قادرة بأن تكفر عن ذنوب وخطايا الناس. فدورها إذن كان بأن تشير وترمز إلى حمل الله أي إلى السيد المسيح الذي كان سيأتي في ملء الزمن ليقدم جسده كذبيحة مقدسة ونيابية عن سائر الذين يمثلهم من الجنس البشري.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث: مغزى أو معنى موت السيد المسيح

لا بد لكل مضطلع على الإنجيل بأن يقر بوجود تشديد كبير على تلك الحوادث التي تمت في الأسبوع الأخير من حياة الرب يسوع المسيح على الأرض. فمع أن الإنجيل يذكر بعض الحوادث المتعلقة بولادة السيد المسيح وبأيام طفولته, إلا أنه يسرد لنا بصورة مفصلة فقط ما تم في السنين الثلاث الأخيرة من حياته على الأرض. وليس ذلك فقط بل نرى بكل وضوح أن نحو ثلث الإنجيل يصف لنا بكل تدقيق تلك الأمور التي تمت في أيام المسيح الأخيرة أو الأسبوع الأخير المعروف عادة بأسبوع الآلام. وهذا لدليل قاطع بأن العمل المميز للسيد المسيح قد أنجز ليس بحياته بل بموته على الصليب. لا مثال ولا تعاليم ولا معجزات السيد المسيح كشفت وأظهرت محبة ورحمة وعدل الله ببرهان قاطع نظير موته وبالتالي أصبح الصليب أفضل رمز للمسيحية!

ماذا نلاحظ لدى مطالعتنا للإنجيل؟ نلاحظ أن السيد المسيح له المجد كان يتكلم مراراً وتكراراً وبإصرار عن الموت الذي كان سيتكبّده في المدينة المقدسة. فقد أشار البشير إلى وقت معين أثناء خدمة المسيح العلنية وقال: "من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة, ويقتل." (الإنجيل حسب متى ١٦: ٢١) أما البشير لوقا الطبيب فإنه يدون ما يلي في الإنجيل المعروف باسمه: "وأخذ الإثني عشر وقال لهم: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان لأنه يسلم إلى الأمم (أي إلى الرومان عابدي الأوثان) ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه, ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم." (الإنجيل حسب لوقا ١٨: ٣١ - ٣٣).

في حادثة التجلي, أي عندما ظهر مجد وبهاء السيد المسيح ظهر كل من موسى وإيليا وتكلما مع السيد المسيح عن "خروجه الذي كان عتيداً أن يكمّله في أورشليم." (الإنجيل حسب لوقا ٩: ٣١). ويخبرنا لوقا أيضاً بأن السيد المسيح مع علمه بكل ما كان سيجري له في القدس "ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم." (الإنجيل حسب لوقا ٩: ٥١). لم

يكن هناك ما يثني المسيح عن عزمه للذهاب إلى الصليب بالرغم من أن التلاميذ كانوا يتعجبون و"يخافون". (الإنجيل حسب مرقس ١٠: ٣٢), ألم يخبرهم السيد عن حتمية الصليب والآلام قائلاً: "ولي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل؟" (الإنجيل حسب لوقا ١٢: ٥٠).

نتعلم من هذه الكلمات الربانية ومن غيرها أيضاً أن المسيح أحب خاصته إلى النهاية. لقد أحب شعبه المؤمن به محبة غير محدودة وكان قد وفد إلى عالمنا هذا بشكل خاص من أجل فدائهم وإنقاذهم. وبما أن ذلك لم يكن ليتم بدون آلامه وموته, فانه كان يتوق بشدة إلى إنجاز

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتكميل عمله الخاص. فموت السيد المسيح كان ماثلاً أمامه في كل وقت وكون العمل الرئيسي الذي جاء إلى الأرض من أجل إنجازه.

وكان القصد الخاص أو الهدف المعين لموت السيد المسيح هو الحصول على الغفران للآخرين. هذا هو تعليم الكتاب الصريح: "لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا." كانت هذه كلمات السيد المسيح عندما أنشأ فريضة العشاء الربّاني (الإنجيل حسب متى ٢٦: ٢٨) وقال أيضاً السيد له المجد "لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم وليَبذل نفسه فدية عن كثيرين." (الإنجيل حسب مرقس ١٠: ٤٥) "وأنا أضع نفسي عن الخراف". (الإنجيل حسب يوحنا ١٠: ١٥) "لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي." (الإنجيل حسب يوحنا ١٠: ١٧ و١٨).

ولا يكفينا مطلقاً الاعتراف بالمسيح كمعلم بينما نرفضه كالمخلص والفادي الذي يُكفّر عن الخطية. جاء إليه مرة أحد زعماء اليهود الدينيين يدعى نيقوديموس وقال مرحباً بالمسيح: "نعلم أنك أتيت من الله معلمنا." لكن المسيح لم يبال بهذه الكلمات بل صرّح بكل وضوح أنه لا بد من الاختبار الروحي العميق المسمَّى بالولادة الثانية أو الولادة من فوق (أي من السماء) لكي يقدر الإنسان أن يرى ملكوت الله. وعندئذ يستطيع كل إنسان متجدد بأن يرجع أمر تجديده إلى عمل الله الخلاصي والكفّاري الذي يشكّل أساس قبول الإنسان لدى الله وسبب قدوم الروح القدس إلى حياة المتجدد. ومن المهم جداً أن نلاحظ أن نهاية العهد القديم أو النظام القديم (الذي كان في أيام ما قبل المسيح) لم يتم لدى معمودية المسيح في الأردن ولا يوم مناداة المسيح بعظته الشهيرة المعروفة بالموعظة على الجبل! تم بدء نظام العهد الجديد عندما مات المسيح على الصليب. وقد أظهر الله ذلك بصورة جلية في حادثة انشقاق حجاب هيكل القدس (والذي كان يفصل بين المكان المسمى بالقدس وقدس الأقداس).

وما نلاحظه بخصوص التعليم الكتابي عن قيمة أو مغزى موت المسيح في أسفار الإنجيل نلاحظه أيضاً في رسائل العهد الجديد التي تُظهر لنا إيمان الكنيسة في بدء تاريخها. مثلاً كان الرسول بولس يشعر ضمن حياته بأنه نال غفران الله التام بعد اختباره الفريد وهو ماض إلى مدينة دمشق. لكن الرسول لم يشعر بذلك الغفران بناء على أمر داخلي حدث في حياته الخاصة, بل نظر إلى موت المسيح كالسبب الأساسي للغفران. "المسيح افتدانا من لعنة الناموس (أي الشريعة) إذ صار لعنةً لأجلنا (أي نظراً لموته على الصليب ذلك الموت الذي كان ملعوناً في الكتاب)." (الرسالة إلى غلاطية ٣: ١٣) وكتب الرسول أيضاً "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بِرَّ الله فيه." (الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥: ٢١) وفي الرسالة إلى أهل الإيمان في رومية كتب الرسول عن المسيح "الذي قدّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه." (٣: ٢٥) وأظهر بولس أهمية موت المسيح في هذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العبارة المستقاة من رسالته الأولى إلى المؤمنين في مدينة كورنثوس اليونانية: "لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً." (٢: ٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع: غاية موت المسيح) ١(

كتب الرسول بطرس عن موضوع غاية موت المسيح قائلاً في رسالته الأولى "فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا, البار من أجل الإثمة, لكي يقرّبنا إلى الله." (٣: ١٨) وكتب أيضاً: "الذي حمل هو نفسه (أي السيد المسيح) خطايانا في جسده على الخشبة." (٢: ٢٤). أما الرسول يوحنا فقد كتب في رسالته الأولى: "ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كل خطية." (١: ٧) وكذلك: "وهو – أي السيد المسيح – كفّارة لخطايانا." (٢: ٢).

وكاتب الرسالة إلى العبرانيين لخّص تعاليم كلمة الله في أيام العهد القديم قائلاً: "وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة." (٩: ٢٢) "وإذ ذاك كان – أي السيد المسيح – يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم, ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه." (٩: ٢٦) وعندما رأى يوحنا الرسول السيد المسيح في رؤياه (أي فيما يُعرف الآن بسفر الرؤيا وهو آخر أسفار الكتاب المقدس) وصف لنا قائلاً: "هو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله." (١٩: ١٣).

وعندما نعود إلى صفحات العهد القديم (أي الكتاب في أيام ما قبل الميلاد) نلاحظ أن النبي أشعياء وصف المسيح المنتظر بهذه الكلمات: "وهو مجروح لأجل معاصينا, مسحوق لأجل آثامنا, تأديب سلامنا عليه, وبحبره شُفينا. كلنا كنم ضللنا, ملنا كل واحد إلى طريقه, والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه, كشاة تُسلق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه ... قُطع من أرض الأحياء, أنه ضُرب من أجل ذنب شعبي: أن جعل نفسه ذبيحة إثم ... يُبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها ... وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين." (نبوة أشعياء ٥٣: ٥ – ١٢).

وعندما عيّن الله الحمل كالحيوان الرئيسي لذبيحة الصبح والمساء لدى بني إسرائيل في أيام ما قبل الميلاد, فإنه تعالى اختار الحيوان الذي هو ذات الوقت عديم الضرر وأكثر لحيوانات الأليفة لطفاً وجاذبية. وهكذا فإن بني إسرائيل تعلموا أن الذبيحة كانت ضحية بريئة, وخطاياهم غُفرت لأن شخصاً بريئاً وباراً أخذ محلهم ومات عوضاً عنهم. وطبعاً لم يكن ذلك الحمل بل كان الحمل يشير إلى السيد المسيح الذي كان سيموت نيابياً وكفّارياً عن سائر الذين يؤمنون به.وقد دُعي السيد المسيح باسم "حمل الله" نظراً لأن عمله الرئيسي كان ذلك التكفير النيابي عن خطايا الناس, ذلك التكفير الذي صار أمراً واقعياً لدى موت المسيح على الصليب. وعندما ظهر المسيح أمام يوحنا المعمدان قال هذا الأخير لسائر الذين كانوا بالقرب منه: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم." (الإنجيل حسب يوحنا ١: ٢٩) وكتب بهذا الصدد الرسول بطرس في رسالته الأولى: "عالمين أنكم افتديتم لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بأشياء تفنى بفضة أو ذهب ... بل بدمٍ كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس: دم المسيح." (١: ١٨ و١٩).

ويصف لنا الرسو يوحنا في سفر الرؤيا المفديين من سائر الشعوب والأقاليم والأزمان كمن قد "غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف." ٧: ١٤) أظهر السيد المسيح إذن في سائر أيام حياته على الأرض وكذلك بعد صعوده إلى السماء بأن عمله الرئيسي الذي كان سيستفيد منه الناس كان موته الكفّاري على الصليب.

وعلينا أن نلاحظ بهذا الصدد أن كلمة "دم" التي نستعملها في هذه الدراسات العقائدية عن الكفّارة يجب أن تُفهم ككلمة رمزية. وهي تُستعمل ككلمة مرادفة لموت المسيح الكفّاري وهي تشير إلى الدم الذي سُفك لأجل فداء شعب الله المؤمن بالمسيح يسوع. وهناك الكثيرون من الناس الذين يتعثرون من كلمة "دم" ويرغبون بأن يحصلوا على الخلاص والمصالحة مع الله تعالى بواسطة جهودهم الخاصة. ولكن كلمة الله التي تحتوي على كل ما يلزمنا معرفته بخصوص علاقتنا مع الله وحصولنا على مرضاته, تُعلّمنا ليس فقط بأننا لا يمكن أن نحصل على الخلاص بواسطة أعمالنا الخاصة, بل أيضاً أن الخلاص يتم بواسطة دم يسوع المسيح المسفوك.

هناك نحو ٣٥ إلى ٤٠ إشارة إلى دم المسيح على صفحات العهد الجديد. أما ي العهد القديم نجد إشارات لا تحصى إلى "دم" الممسوح أو المسيح والتي كانت تُستعمل في الرسوم والطقوس والتي كانت ترمز إلى المسيح وإلى عمله الكفّاري. والخلاص في كل العصور – أي في أيام ما قبل الميلاد وأيام ما بعد الميلاد – تم بواسطة المسيح يسوع وحده. وقدّيسو أيام ما قبل المسيح الذين عبدوا الله بطريقته المعيَّنة بالذبيحة والدم المسفوك كانوا ينظرون إلى المخلّص عينه كما نفعل نحن الذين نعيش في أيام ما بعد الميلاد! وقد قال الله تعالى لموسى النبي: "أن نفس الجسد هي في الدم, فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن أنفسكم لأن الدم يُكفِّر عن النفس." (سفر اللاويين ١٧: ١١).

وبحسب الشريعة الطقسية في أيام نظام العهد القديم كانت الضحية أو الذبيحة دائماً تموت, ولذلك فإن الإشارة إلى دم الذبيحة إنما كان يعني: موت الذبيحة. وعندما نُعطي بيناً عن الفصح فإننا نُخبر في سفر الخروج (١٢) عن رشّ الدم وإنقاذ أبكار بني إسرائيل من الموت. وفي يوم الكفّارة السنوية كان على رئيس الكهنة أن يرشّ دم النور وتيس المحرقة على الغطاء وعلى قرون المذبح. (انظر سفر اللاويين ١٦: ١ – ٣٤) ولم تكن طقوس الدم المتنوعة في تلك الأيام إلا رموزاً نبوية تشير إلى الذبيحة العظيمة التي كان سيقدمها السيد المسيح حسب الوقت المعين له من قبل الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس: غاية موت المسيح) ٢(

وفي الوقت المعين مات المسيح على الصليب وقام من الأموات في اليوم الثالث حسب الكتب. فمن المهم جداً أن نذهب إلى كتابات العهد الجديد (أي القسم الثاني من كلمة الله, ذلك القسم الذي أوحى به الله في أيام ما بعد الميلاد).

كانت كلمات السيد المسيح في الفريضة التي أنشأها قبيل آلامه وموته (أي فريضة العشاء الربّاني): "لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل الكثيرين لمغفرة الخطايا." (الإنجيل حسب متى ٢٦: ٢٨) وما أكثر تعاليم الرسول بهذا الصدد! ففي رسالته إلى أهل الإيمان في مدينة رومية كتب قائلاً: "فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب." (٥: ٩) وكتب الرسول إلى مؤمني مدينة أفسس في آسيا الصغرى: "يسوع المسيح ... الذي به لنا الفداء بدمه غفران الخطايا بحسب غنى نعمته." (١: ٣) "ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح (٢: ١٣) وفي الرسالة إلى أهل الإيمان في مدينة كولوسي كتب الرسول عن الموضوع عينه قائلاً: "لقد قام (أي السيد المسيح) عاملاً الصلح بدم صليبه." (١: ٢٠).

أما صاحب الرسالة إلى العبرانيين فإنه يكتب بصورة مطوّلة عن هذا الموضوع قائلاً: "وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد – أي الذي ليس من هذه الخليقة وليس بدم تيوس أو عجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المُنجسين يُقدس إلى طهارة الجسد, فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يُطهّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي؟" (٩: ١١ – ١٤).

وكتب الرسول يوحنا قرب نهاية القرن الأول من الميلاد في رسالته الأولى: "ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كل خطية." وأما في سفر الرؤيا فإنه يعطينا نص الترانيم التي يرقعها المؤمنون الذين عبروا شاطئ الأبدية يحمدون بواسطتها السيد المسيح الذي افتداهم من الخطية والموت: "مُستحق أنت أن تفتح السِفر وتُفك ختومه لأنك ذُبحتَ واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة ... مُستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة." (٥: ٩ و١٢).

وكل من يقبل تعاليم كلمة الله لا يجوز له مطلقاً بأن يجد عثرة في كلمة "دم", فيما أن يسوع المسيح قد كسب لنا الخلاص والفداء والتحرير بواسطة آلامه وموته الكفّاري والنيابي على الصليب, من البديهي أن يلجأ كتبة أسفار الكتاب المقدس إلى الكلام مراراً وتكراراً عن موضوع "دم" يسوع المسيح. وفي تاريخ الكنيسة حاول الكثيرون بأن يحصلوا على

 All rights reserved © 2008-2018

الخلاص بواسطة مجرد العضوية في الكنيسة أو بواسطة عزمهم الصادق بأن يحيوا حياة الكمال أو أن يقوموا بأعمال صالحة عديدة, ولكن هؤلاء الناس مُنُّوا بالفشل الذريع. ليس علينا إذن سوى الرجوع إلى التعاليم الرسولية اتي تؤكد بأن فاعلية وحيوية عمل المسيح يجب أن تُنسب إلى موته ودمه وصليبه. ويمكننا دوماً أن نفحص النظريات والآراء المختلفة التي تبرز إلى الوجود بواسطة مواقفها من هذا الموضوع الرئيسي في الإيمان: ما هو محل صليب المسيح في التعاليم التي يُنادي بها الناس؟

وبالنسبة للذين لم يختبروا خلاص الرب فإن التصريح بأن الخلاص هو بدم المسيح يظهر أنه غير مقبول وغير معقول! والكتاب المقدس يعترف بهذا الموقف الذي يصدر عن قلوب غير المتجددين ويصرّح بأن "كلمة الصليب عند الهالكين جهالة" ولكنه يضيف في نفس الوقت بطريقة المقابلة: "وأما عندنا نحن المُخلَّصين فهي قوة الله" (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١: ١٨). وجميع الذين اختبروا في حياتهم الغفران يعرفون بأن الرب الذي صُلب ومات وقام هو قادر على أن يُخلّص إلى التمام أولئك الذين يقربون إلى الله بواسطته وبأنه لا يوجد خلاص لأحد إلا به.

وعلينا أن نلاحظ أيضاً بأن المسيح لو لم يكن قد قدّم حياته ذبيحة عن الآخرين فإننا لا نعلم إذن لماذا مات على الصليب. ولقد احتمل السيد له المجد الموت (وهو عقاب الخطية) مع أنه لم يكن قد اقترف أي ذنب أو ارتكب أية خطية. كيف نُفسّر إذعانه الاختباري للموت وهو في سن مبكرة أي في الثالثة والثلاثين من عمره) إن لم يكن قد قام بذلك من أجل التكفير عن خطايا الناس؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس: لم يكن موت المسيح مجرد موت شهيد) ١(

الكثيرون ينكرون بأن موت السيد المسيح له قيمة كفّارية وعندما نجابه هذا الموضوع لابد لنا من اختيار أحد الرأيين: فإن لم يكن المسيح قد مات للتكفير عن الخطايا فإنه يكون قد مات كمجرد شهيد! ولكن إذا رجعنا إلى النصوص الكتابية التي تتكلم عن موت السيد المسيح فإننا نجدها تصف موت السيد له المجد كأكثر بكثير من موت شهيد عن الحق. يمكننا مثلاً مقابلة شعور المسيح تجاه الموت الذي كان ينتظره بشعور بولس الرسول. قال هذا الأخير قُبيل استشهاده في سبيل الإنجيل: "فإني الآن أنسكب سكيباً ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن, أكملت السعي, حفظتُ الإيمان, وأخيراً قد وُضع لي اكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً" (الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٤: ٦ – ٨).

أما السيد المسيح فإنه كان يواجه الآلام من كل جانب. قال له المجد: "الآن نفسي قد اضطربت وماذا أقول؟ أيها الآب نجّني من هذه الساعة!" (الإنجيل حسب يوحنا ١٢: ٢٧). ويصف لنا الطبيب لوقا حالة المسيح في بستان الجثسيماني قائلاً: "وإذ كان في جهادٍ كان يَصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض." (الإنجيل حسب لوقا ٢٢: ٤٤) وعندما كان المسيح معلّقاً على الصليب صرخ قائلاً: "إلهي, إلهي, لماذا تركتني؟" (الإنجيل حسب متى ٢٧: ٤٦).

وكتب أحد علماء اللاهوت المؤمنين قائلاً عن موضوعنا هذا: "لو كان موت السيد المسيح مجرد موت شهيد فإنه إذ ذاك لم يكن قد أعطانا مثالاً كاملاً لكيفية الاستشهاد. فكثيرون من الشهداء أظهروا شجاعة أعظم في وجه الموت وكثيرون كانوا قادرين بأن يقولوا والنار تلتهمهم بأنها كانت فراشاً من الورد! وسجلات الرسل البشيرين المُلهمين عن آلام السيد المسيح الروحية في بستان الجثسيماني تُظهر بأن آلام المسيح لم تكن مجرد آلام جسدية قاساها وهو معلّق على الصليب. لابد لنا إذن ونحن نتأمل في هذا الموضوع الهام من أن نقبل التفسير الكتابي لآلام السيد المسيح, أي أنه له المجد كان يتألم نيابياً وكفّارياً ولذلك كان موقفه من هذه الآلام موقفاً فريداً لا مثيل له في تاريخ البشرية بأسرها.

وعندما كان السيد المسيح معلّقاً على الصليب كان – في طبيعته الجسدية البشرية – الذبيحة الحقيقية للتكفير عن خطية شعبه, ولذلك كان من الضروري له أن يتألم وحده. لم يكن من الممكن لله أن يكون له أية علاقة بالخطية, إذ أنها في نظره فظيعة لدرجة لا تقاس. هذا وقد علّمنا الله هذا الدرس في طقوس العهد القديم إذ أن ذبيحة الخطية كانت تُحرق خارج المحلّة. وكان مقدّم الذبيحة ينظر إليها كأمر مكروه ونجس لأنها كانت تُمثّل خطيته وترمُز إليها. وهكذا عندما ننظر إلى المخلّص المسيح نرى أنه حمل في جسده عبء الخطية التام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقد اختبر على الصليب انفصالاً لحظياً مؤقتاً عن حضرة اله الآب وعن الشركة المقدسة معه, وبذلك دفع الثمن التام للفداء بدون مساعدة أو معونة من أي كان. فقد كان السيد المسيح يشعر ليس بشدة آلام المسامير التي اخترقت جسده المعذب فحسب بل أيضاً بفظاعة انقطاعه عن شركة المودّة والمحبة التي كان يتمتع بها دائماً مع الله الآب.

ونظراً لأن المسيح يسوع كان يتمتع بطبيعة بشرية حقيقية كاملة فإنه خضع لحدود هذه الطبيعة وكان من الممكن له اختبار شعور الانفصال عن الله الآب وأن يتحمل الألم والجوع. ولكن أثناء حادثة الصليب حمل السيد المسيح حمل الخطية بشكل لم يتحمله أحد قط ولم يكن من الممكن لأي إنسان أن يتحمله. ولذلك فإن اختباره كان فوق طاقة اختبار أي شهيد! والفرق بين آلام السيد المسيح وآلام الشهداء المسيحيين هو أنهم كانوا يشعرون بوجود الله معهم عندما كانوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة, بينما احتمل المسيح آلام الموت بمفرده عندما حجب الله وجهه عنه! ولو كان موت السيد له المجد مجرد موت شهيد نضطر إلى القول بأن أقدس رجل عاش قد خذله الله في أشد ساعة من ساعات حياته وإبان محنته القصوى. ولكن موت المسيح لم يكن موت شهيد بل موت حمل الله الذي جاء للتكفير عن خطايانا.

فعلينا إذن أن نتذكر بأن الموت هو في أساسه انفصال روح الإنسان عن الله, والموت الجسدي – أي انفصال الجسد عن الروح – هو شيء ثانوي ونسبي بالنسبة للفاجعة العظمى: أي انفصال الإنسان عن الله. ولم يختبر السيد المسيح آلام نظير أولئك الذين يختبرون آلام الجحيم, ولكنه اختبر الموت حسب معناه الأولي, أي الانفصال عن الله وبذلك دفع الجزاء عن أولئك الذين كان يُمثّلهم – أي عن سائر الذين يؤمنون به عبر العصور والأجيال.

وهنا علينا أن نتذكر دائماً عندما نتكلم عن موت المسيح وآلامه بأن طبيعته البشرية – لا طبيعته الإلهية – هي التي كانت خاضعة للتألم والموت, كما أن طبيعته البشرية فقط كانت معرّضة للتجربة والجوع والعطش والنوم وغير ذلك. ومع أننا لا نفهم تماماً العلاقة الكائنة بين طبيعتيه فهناك بعض الشبه لما يتم ضمن شخصياتنا التي فيها الطبيعة الروحية والطبيعة الجسدية المتحدتان في شخصية بشرية واحدة. فعلى أساس اختباراتنا نعل أننا ما نختبره في أية طبيعة من الطبيعتين فإننا نختبره كأشخاص لكل شخصيته الواحدة أي أن كل ما أختبره أنا في طبيعتّي (أي الروحية والجسدية) إنما أختبره كشخص واحد.

وهكذا نقول بأن السيد المسيح الذي تألم ومات عنّا على الصليب قام بعمل فدائي قيمته غير محدودة وكافية تماماً لتُخلّص سائر الذين يتّكلون عليه. تمجّد اسمه.

 All rights reserved © 2008-2018

الفصل السابع: لم يكن موت المسيح مجرد موت شهيد) ٢(

كل من يأخذ تعاليم الكتاب بصورة جدية لابد له من الإقرار بأن عمل الفداء الذي أنجزه السيد المسيح بموته الكفّاري على الصليب هو أعظم بكثير من عمل الخليقة. فعندما ظهرت النجوم للوجود وامتدت وسط حدود الفضاء الواسع فإن ذلك اقتضى قوة وحكمة عظيمتين – وقد تم ذلك, حسب تعاليم الكتاب, بأمر كلمة من الله. وكانت هذه الخليقة سهلة نسبياً فقد أشير إليها بأنها مجرد "عمل إصبعه تعالى." (من المزمور ٨: ٣) وورد أيضاً في سفر المزامير ما يلي عن موضوع الخليقة "لأنه قال فكان, هو أمر فصار" المزمور (٣٣: ٩).

ولكننا عندما نأتي إلى موضوع عمل الله الفدائي فإننا نرى أن الله في شخص يسوع المسيح أخذ على نفسه طبيعة بشرية مع ضعفاتها الملازمة, ووُلِدَ كطفل عاجز وفي حالة متواضعة, وعانى صعوبات هذه الحياة, فقد استهزئ به ورُفِضَ من قبل زعماء إسرائيل الروحانيين والسياسيين, واحتمل الآلام الشديد حتى الموت اللعين على الصليب, ودُفن وبقي تحت سلطة الموت إلى حين. وبينما أُنجِزَ عملُ الخليقة بواسطة مجرد ممارسة قوة وحكمة الله, فإن عمله الفدائي إنما أُنجِزَ بثمن غير محدود من الآلام. وكما أن قيمة نفس الإنسان هي عظيم جداً وأكثر بأن تُقاس بقيمة الجسد هكذا أيضاً فإن فداء نفوس الناس هو عمل أعظم بما لا يُقاس من عمل الخليقة الأصلي. ولذلك أصبح عمل السيد المسيح الفدائي محور التاريخ البشري بأسره.

يُعدّ موت السيد المسيح – حسب تعاليم الكتاب المقدس – الحقيقة الرئيسية في العقيدة المسيحية للفداء. موت المسيح هو حلقة الوصل التي تصل سائر العقائد المميزة الأخرى. وليس هناك من سبب معقول للإدعاء بأن جوهر المسيحية هو اتباع مثال أو سيرة المسيح كما يُعلّم أولئك الذين ارتدّوا عن الإيمان القويم, ذلك الإيمان الذي سلّمنا إياه الله بواسطة الرسل, ذلك الإيمان الذي تمسّكت به الكنيسة الأمينة عبر الأجيال المتعاقبة. طبعاً إن الذين قبلوا في قلوبهم تعاليم الفلاسفة غير المؤمنين بالوحي الإلهي وغير المنقادين بسلطة كلمة الله, هؤلاء يصفون المسيحية وكأن قصدها الرئيسي هو بناء نظام اجتماعي جديد وأن غاية الكنيسة أو سبب وجودها هو للخدمة الاجتماعية. لكنه من الواضح جداً أن الله لم يعطنا هكذا تعاليم. لقد كلّمنا تعالى في الأنبياء والرسل وعلّمنا أن أهم شيء في تاريخ البشرية هو ذلك العمل الفدائي الجبار الذي قام به المسيح بموته الكفّاري على الصليب.

طبعاً يتطلب منا الله – نحن الذين اختبرنا الفداء والخلاص والتحرير – يتطلب منا تعالى أن نقتفي آثار السيد المسيح في حياتنا اليومية وأن نطبق سائر التعاليم الكتابية في الحياة الاجتماعية لأن الله لا يعرف ولا يعترف بالإيمان العقيم. إلا أنه لا يجوز لنا أن نُغمض أعيننا عن الحقيقة الناصعة الواردة على صفحات الكتاب ألا وهي أن أهم شيء قام به

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح هو موته على الصليب وأن أهم شيء تقوم به الكنيسة هو المناداة بهذا الخبر المفرح للغاية: يُقدم الله الغفران والمصالحة مجّاناً. كل ما يطلبه من الإنسان هو الرجوع إليه تائباً والنظر بعين الإيمان إلى المسيح الذي مات وقام مكفّراً عن خطايا الناس.

هل يخطر على بال إنسان عاقل أن يُقلّد عمل الله في الخليقة؟ كلا. إنه تعالى وحده يقوم بذلك الأمر ولذلك ندعوه بالخالق, ونحن لسنا سوى مخلوقاته. هكذا أيضاً لسنا نحن الذين نفدي أنفسنا أو غيرنا من الناس. هناك فادي واحد وهو المخلص المسيح ولذلك ندعوه باسم يسوع (أي المخلص أو المنقذ). فديانة الكتاب المقدس وإن كان من الواجب أن تُطبق في سائر نواحي الحياة الفردية والعائلية والاجتماعية – إلا أنها قبل كل شيء وفوق كل شيء ديانة فدائية, ديانة تنادي بعمل الله الجبار الذي تم في وسط العالم وبواسطة يسوع المسيح الذي مات على لصليب وقام في اليوم الثالث فأنجز لنا خلاصاً عظيماً قيمته لا تُحصَر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثامن: طبيعة وتأثير الخطية في نفس الإنسان

إذا أردنا أن نُقدّر ذلك العمل الذي قام به السيد المسيح من أجلنا نحن البشر حق تقديره يجدر بنا أن نقف على طبيعة وتأثير الخطية في نفس الإنسان. نصل إلى هذه المعرفة بواسطة تعاليم الكتاب عن هذا الموضوع. يُخبرنا الكتاب بأن الخطية هي – في جوهرها – عصيان وتمرّد على شريعة الله. وهناك طبعاً مظاهر عديدة للخطية في حياة الإنسان نظير القتل والسرقة والزنى والكذب والتدنيس والكبرياء والحسد والطمع وعدم احترام الوالدين وغير ذلك من أمور محزنة. وبغض النظر عن الشكل الذي تتخذه الخطية فهي جوهرياً شيء واحد: إنها إجرام يُرتكب ضد الله تعالى اسمه. وقد عرّف كتاب أصول الإيمان (وهو كتاب عقائدي وصل إلينا من القرن السابع عشر حيث لُخّصت فيه المعتقدات التي نجدها في الكتاب المقدس) عرّف الخطية بهذه الكلمات القليلة: "الخطية هي التعدّي على شريعة الله أو عدم الامتثال لها". وشريعة الله هي أخلاقية في أسمى معنى, وقد سُنّت من أجل خير البشرية جمعاء. الشريعة هي وحي من الله وهي تدل على سجية الله وهي لذلك كاملة وغير متغيرة.

وكل من يرتكب خطية إنما ينق ولاءه من الله إلى الشيطان وما أقل أولئك الذين يدركون ذلك, إذ أنهم يخدمون إبليس كلما يرتكبون الخطية. يقول الكتاب في هذا الصدد: "من يفعل الخطية فهو من إبليس (رسالة يوحنا الأولى ٣: ٨). وعندما عيّن الله بولس الرسول للمناداة بالإنجيل بين الأمم الوثنية أفهمه بأن ذلك سيؤول إلى فتح "عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور, ومن سلطان الشيطان إلى الله." (سفر أعمال الرسل ٢٦: ١٨) وقال السيد المسيح بهذا الصدد: "كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية". (الإنجيل حسب يوحنا ٨: ٣٤).

ووجّه السيد المسيح كلامه للفرّيسيين (وهم جماعة دينية ناصبته العداء) قائلاً: "أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (الإنجيل حسب يوحنا ٨: ٤٤)

وبما أن الخطية – حسب طبيعتها – هي تَعدٍّ على مشيئة الله, ليس لنا أن نتعجب إن كان عقابها قاس وشديد. عقاب الخطية هو الموت كما ورد في سفر التكوين وهو أول سفر من التوراة: "لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت". (٢: ١٧) وقد أخبر الله آدم عن هذا الموضوع منذ بدء التاريخ البشري. وكرر إعلان هذا المبدأ من قِبَلِ الأنبياء في كتبهم كما ورد مثلاً في نبوة حزقيال النبي: "النفس التي تخطئ هي تموت". (١٨: ٤) وذكر بولس الرسول هذا التعليم الكتابي في رسائله ولا سيما في رسالته إلى أهل الإيمان في رومية: "أجرة الخطية هي موت". (٦: ٢٣).

كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن الموت الذي يتكلم عنه الله في كتابه هو أكثر بكثير من الموت الطبيعي والذي هو انفصال الجسد عن النفس). الموت هو انفصال النفس الأبدي عن الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخالق. ففي هذا المعنى الأوسع يعني الموت الابتعاد الروحي نظير ما يختبره إبليس وأعوانه الشياطين. ولقد وعد الله الإنسان الأول بالثواب المفرح (أي الحياة) إن أطاعه إطاعة تامة كما ورد بوضوح ليس فقط في سفر التكوين بل في سائر أسفار الكتاب المقدس. وهذه الحياة التي وعد الله بها لم تكن مجرد حياة جسدية كما نعرفها بل إنما حياة أبدية كالحياة التي يتمتع بها الملائكة القديسون.

ومن المهم أيضاً لنا أن نرى أن الله عيّن آدم كممثل للبشرية بأسرها. ولذلك فإن جميع الناس كانوا سيستفيدون من طاعة أبيهم الأول لله أو سيخسرون من عصيان أبيهم. فالثواب لطاعة آدم أو العقاب لأجل عصيانه قد قُصِدَ منه أن يقع ليس فقط على نفسه بل على سائر الذين ينحدرون منه. وقد اختار آدم الابتعاد عن الله وعن طرقه المستقيمة وانحاز إلى جبهة الشيطان الرجيم فسقط في الخطية وصار عبداً لها, وجلب أيضاً الساد والشر على نسله. وكل ما هو في الإنسان قد تأثر من سقوط آدم في الخطية: فَقَدَ العقل مقدرته الروحية على التمييز بين الحق والباطل, والإرادة صارت مقيدة ومستبعدة وفسدت العواطف وخسرت مكانتها الخاصة ضمن الشخصية الإنسانية. وهكذا لم يكن هناك مخرج أو إمكانية للخلاص من هكذا ورطة روحية شديدة ولا أي إنقاذ من عبودية غاشمة إلا إذا تدخل الله تدخلاً علياً وحاسماً ونهائياً. وهذا بالفعل هو ما قام به تعالى في شخص السيد المسيح الذي جاء إلى عالمنا وقدّم نفسه كفّارة عن خطايانا ووهبنا هذا الخلاص, لا لأننا نستحقه شخصياً, بل نظراً لنعمته العظيمة.

ونفهم في أن عقاب الخطية كان له علاقة أساسية بطبيعة الإنسان الروحية كون آدم لم يمت (جسدياً) إلا بعد ٩٣٠ سنة من عصيانه لأوامر اله, مع أنه كان قد مات روحياً حالما أخطأ ضد الله وشعر ضمن نفسه بابتعاده عن خالقه المعتني به. ليس الموت الجسدي إلا رمزاً للموت الأشد خطورة ألا وهو الموت الروحي. طبعاً كما تكلم الله عن عقاب تلك الخطية, فإنه تكلم أيضاً عن رحمته ونعمته الخلاصية لآدم وحوّاء اللذين آمنا برحمة الله فاختبرا الخلاص من عواقب خطيتهما المحزنة. ونلاحظ لدى مطالعتنا للكتاب أن ذرية آدم غير المتجددة أظهرت أنها كانت خاضعة للشر وذلك في ابتعادها عن طريق الصلاح والبر والتقوى وفي سيرها على طرق الفساد والخطية. ويصل ذلك إلى ذروة عالية في أيام نوح عندما جلب الله تعالى الطوفان على البشرية القديمة فقضى عليها بتلك الطريقة المحزنة والرهيبة ولم يبق على الأرض سوى نوح وأولاده الثلاثة مع زوجاتهم. وكانت تلك الحادثة في تاريخ العالم القديم أمثولة للبشرية وصورة مخيفة للدينونة الكبيرة التي ستتم في نهاية التاريخ لدى عودة السيد المسيح إلى العالم. إن الخطية لأمر فظيع ومخيف, لكن الله أظهر محبته لنا بمعالجته لهذه الحالة الخطيرة بواسطة السيد المسيح وعمله الكفّاري على الصليب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل التاسع: الشريعة الإلهية ضد الخطية غير قابلة للتغيير

لم تكن الشريعة الأدبية / الأخلاقية التي أعطاها الله للإنسان في البدء شريعة استبدادية في نصها بل إنها كانت تعبّر عن كيانه وذاته تعالى. ولقد أظهرت الشريعة للإنسان ماهية طبيعة الله, وكان القصد منها تقريب الإنسان من خالقه والمعتني به. وكانت هذه الشريعة واضحة كل الوضوح في مطاليبها وكذلك في نواهيها. والخطية – حسب تعاليم الكتاب – هي التحدي لله والمخالفة المطلقة لطبيعته المقدسة, ومن ثم لا يمكن النظر إليها وكأنها أمر بسيط أو تافه. وقد أعطانا اله وحياً عن ذاته مُظهراً أنه إله قدوس وعادل وصادق في جميع معاملاته مع بني البشر. وهو تعالى يكره الخطية ويحتدم ضدّها بغيرة مهلكة نظراً لكونه الإله القدوس. وبما أن الله العادل فإنه يُكافئ على البر ولكنه يُعاقب على الخطية والإثم. والذين يتعدّون على الوصية الإلهية ليس لهم أن ينتظروا جزاء أولئك الذين يطيعونها. وعلينا أن نتذكر أن الله الذي هو إله رحمة والذي يرغب في لأن يُخلّص النفوس البشرية, هو أيضاً إله عدل وبموجب عدله يقاصص الخطاة. ونظراً لكون الله إلهاً صادقاً فإنه يُنفذ العقاب الذي تكلم عنه. ومهما كان الله بمحبته يرغب في أن يُخلّص الخطاة فما كان هذا الأمر ممكناً ما لم يَقُم الله بوفاء شريعته حقّها. وهكذا نفهم معنى هذه الكلمات الكتابية: "بدون سفك دم, لا تحصل مغفرة". (الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٢) أي أنه بدون عقاب الخطية لا تحصل مغفرة عن الخطية.

لنفرض أن الإنسان تمكن من الحصول على القوة المعنوية التي تساعده على التوبة عن خطاياه العديدة والرجوع إلى الله خالقه, فإن ذلك بحد ذاته لا يؤكد للإنسان حصوله على الغفران. أساس الغفران هو شيء آخر حتى في أمور هذه الدنيا نعلم أن التوبة لا تُكفّر عن الجرم المرتكب, كونه قد شعر بالأسف والندامة لا يعني أنه لم يعد مسؤولاً عن جريمته أو أنه يستطيع التهرب من العقاب. المجرم عليه أن يُقاصَص وقصاصه يكون متعلقاً بطبيعة جريمته التي اقترفها. إن النظام الذي يسود المجتمع البشري يكون مهدداً بالانهيار إن لم يُعاقَب المجرم. وكل من تاب توبة حقيقية يعلم بأن توبته هذه ليست الأساس الذي يُبنى عليه قبوله لدى الله وكلما ازداد شعور الإنسان بفداحة خطيته وكلما اشتد إخلاصه في توبته, كلما ازداد إدراكه بضرورة الإصلاح والتكفير.

ومن حسن حظنا نعلم من كتاب الله أنه تعالى يقوم في نفس الوقت بإيفاء مطاليب الضمير البشري وذلك بتدبيره لكفّارة أو ترضية ولنعلم جيداً أن الله لا يعفو عن الخطية لاستخفافه بها وكون الله إله محبة لا يعني أنه لا يعود ينظر إلى أية اعتبارات خارجة عن موضوع المحبة. ولكننا نرى عظمة الله وسموّه في أنه تعالى يُهيء الذبيحة وهي ذبيحة السيد المسيح الذي بواسطة آلامه وموته على الصليب دفع العقاب فحرر الإنسان المؤمن به من لعنة الخطية وسطوتها ووهبه الصلاحية لدخول السماء. كتب أحد علماء اللاهوت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المؤمنين قائلاً: "ليس صليب المسيح بتسوية أو تراضٍ, بل هو تعويض أو بدل, ليس إلغاء بل إرضاء ووفاء, ليس بمحو اعتيادي بل محو بالدم والعذاب والموت". والرحمة لا تخدع العدل بل نرى أن القداسة تُكافأ, والخطية تُعاقب ونظام الكون الأخلاقي يُحافَظ عليه بصورة تامة, لأن القدوس هو أيضاً المخلّص الوحيد.

ويجب أن يكون واضحاً تماماً لكل إنسان أنه لو سمح الله بأن تبقى الخطية بدون عقاب, أو إن كان قد عاملها برخاء, فإن ذلك يعني أن عدل الله ذهب أدراج الرياح وأنه تعالى أصبح يتصرف تصرفاً عاطفياً ضعيفاً. ونحن نلاحظ من تعاليم الكتاب عن الخليقة الأصلية أن الله خلق الإنسان على صورته وغرس في قلبه وضمن كيانه شعوراً عميقاً للمسؤولية الأدبية والأخلاقية. فهل يمكن لله أن يبقى أميناً لذاته فيما لو أنه بعد أن وضع هذا المبدأ السامي في البدء لا يعود ينظر إليه ولا يتصرف بموجب نصوصه؟ علينا أن نتذكر جيداً أن الله يُعلن عن ذاته ليس فقط كأب محب, إنه الديّان البار والعادل أيضاً.

لا يسمح الله لشرائعه العادلة أن تُنقض بإعفاء الخاطئ من العقاب فالغفران الذي ينادي به الكتاب هو غفران جرى بطريقة تتلاءم مع قداسة اله وعدله أي بواسطة آلام وموت السيد المسيح. وعندما نتكلم عن بر الله علينا أن نذكر أنه (أي ذلك البر) صفة إلهية خاصة ومميزة ولذلك فإنه يتطلب عقاب الخطية عقاباً مناسباً لها. وكم من المؤسف ملاحظة ميل الإنسان المعاصر الذي يدفعه لأن ينظر نظرة سطحية إلى الخطية ويكوّن آراء غير سليمة بالنسبة لفظاعتها ونتائجها. وحيثما يبدأ الناس باتخاذ آراء سطحية عن الخطية ويفكّرون أنه بالإمكان التخلّص منها بتوبة بسيطة, نراهم ينكرون الحاجة إلى غفران كفّاري ومن ثم يُكوّنون آراء غير سليمة عن رسالة المسيح وموته وآلامه.

ولكن ما أن يُوقظ الله الضمير البشري حتى نُقرّ مع الكتاب بأننا خُطاة أثمة وإن إثمنا هو أكبر من أن نُكفّر عنه بأنفسنا. فلا يبقى لنا سوى منفذاً واحداً للنجاة ألا وهو السيد المسيح الذي وحده "قادر بأن يُخلّص إلى التمام الذين يتقدمون إلى الله بواسطته تعالى".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل العاشر: أولية القداسة في صفات الله) ١(

عندما نأخذ بعين الاعتبار جميع تعاليم الكتاب بخصوص الله علينا أن نعترف بأن المحبة ليست أعظم صفة أساسية لطبيعة الله. القداسة هي الصفة الأساسية لله: هذا هو تعليم الكتاب. مثلاً عندما رأى النبي العظيم أشعياء الله في رؤياه الواردة في الفصل السادس من نبوته قال: "في سنة وفاة عزّيا الملك, رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع, وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة, باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال: "قدوس, قدوس, قدوس رب الجنود, مجده ملء كل الأرض". (نبوة أشعياء ٦: ١ – ٣).

وكتب يوحنا الرسول في سفر الرؤيا وهو آخر سفر من أسفار الكتاب عن عبادة الله في السماء من قبل الملائكة والخالصين من سائر الشعوب والأجيال وقال إنه هناك أربعة كائنات وهي تمثل الجنس البشري والتي تقول ليلاً ونهاراً:

"قدوس, قدوس, قدوس الرب القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي". (رؤيا يوحنا اللاهوتي ٤: ٨).

وعندما ظهر الله لموسى ي برّية سيناء قال له: "موسى, موسى! فقال هأنذا. فقال لا تقترب إلى هنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة". (سفر الخروج ٣: ٤ و٥). ما الذي جعل الله يقول لموسى بأن تلك الأرض مقدسة؟ أليس لأنه تعالى إله قدوس؟

ويمكننا تعريف قداسة الله بأنه ذلك البر الذاتي الذي بموجبه يريد ويقيم أبدياً كمالياته الأخلاقية الخاصة به تعالى اسمه. وقد نظّم الله الكون والبشرية التي هي جزء منه (أي من الكون), بحيث يُعبّر كل شيء عن قداسته. فمن الناحية الإيجابية جعل السعادة متعلقة بالبر والقداسة, ومن الناحية السلبية نرى أن الخطية تجلب التعاسة والآلام. وإذا نظرنا إلى المحبة بصورة مجردة أي في ذاتها فلا بد لنا من القول بأنها غير عاقلة ومتقلبة إلا إذا تسلطت عليها القداسة. ومن الناحية المنطقية وبناءً على تعاليم الكتاب علينا بأن نسلّم أن القداسة هي سابقة للمحبة أي أن القداسة لها الأولية في صفات الله. فمن المستحيل إذن أن يُعفى عن الخطية إن لم يُكفّر عنها. بالطبع نعلم من دراساتنا للتاريخ القديم أن أهل الإغريق (اليونانيون) مثلاً كانوا يعتقدون بوجود آلهة متعددة وكانت (أي آلهة الإغريق) منحطّة الأخلاق لدرجة كبيرة كما ورد في أساطير اليونان. ولكن الله وهو الإله الواحد الحقيقي السرمدي فإنه إله قدوس, إله كامل في صفاته الأخلاقية فهو لا يتساهل مع الخطية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ونحن لا نضع حدوداً لسلطان الله المطلق عندما نقول إنه لا يمكن للخطية بأن تُغفر بدون كفّارة. نعم إن الله قادر على كل شيء ولكن قدرة الله المطلقة والتي ليس لها حدوداً لا تُلغي قداسته ولا عدله, ولذلك فإنه تعالى يعاقب الخطية. وإذ شاء وقرر بأن يُنقذ الإنسان من وهدة الشر والهلاك فإنه تعالى لجأ إلى طريقة فعّالة للخلاص ألا وهي الكفّارة بواسطة دم يسوع المسيح المسفوك على الصليب.

ومن المهم جداً أن لا ننقاد في تيارات التعاليم المعاصرة التي تميل إلى التقليل من شأن قداسة الله تعالى وتعلّم بأن الله يغفر الخطية بدون كفّارة. هكذا تعاليم لا تعرف مضمون قداسة الله, طبعاً إننا لا نود مطلقاً التقليل من أهمية التعليم الكتابي بأن الله محبة. لولا محبة الله لكنا هالكين إلى الأبد. هذه هي ذروة الوحي الإلهي. لكن الوحي لا يعلمنا بأن المحبة هي كل شيء من جهة الله. الله محبة, نعم والله قدوس والله عادل أيضاً. وما ذكره كاتب الرسالة إلى العبرانيين بوحي إلهي يجب أن يكون نصب أعيننا دوماً, أي أن موقف الله من فعلة الإثم هو موقف "نار آكلة". (١٢: ٢٩), لنحذر إذن من الآراء العديدة الشائعة في هذا العصر والتي لا تتفق مطلقاً مع تعاليم الوحي الإلهي والتي تطلي لنا صورة عن محبة الله غير المميزة وكأن الله لم يعد يحاسب الإنسان عن شره وإثمه. نحن لا نكون فاهمين لمعنى محبة الله إن لم نأخذ في نفس الوقت تعاليم الكتاب الأخرى عن الله تعالى والتي تُعلّمنا بأنه أيضاً إله قدوس وعادل وبار. وبينما يزعم البعض أن الله هو محبة ومن ثم لا حاجة إلى أي نوع من التكفير, فإننا نقول مع الكتاب المقدس المُوحى به من الله: إن الله محبة ولذلك فإنه أعدّ كفّارة عن خطايانا.

ما هي المحبة الحقيقية؟ نقول يحب الإنسان غيره بالحقيقة عندما يُفضّل بأن يتألم هو نفسه بدلاً عن قريبه الإنسان. هناك مبدآن أخلاقيان يتحكمان بتصرفات كل بشري:

١- المبدأ الأول هو دافع المصلحة الشخصية أو النفع الذاتي, أي عندما تدور الحياة على محور الذاتية.

٢- والمبدأ الثاني والذي هو دافع مصلحة الآخر أو التضحية في سبيل الآخر. وهذا المبدأ هو مبدأ المحبة حسب تعريفها الكتابي الموحى به من الله. ولذلك فإن رسالة الكتاب المقدس العظمى كانت ولا تزال: "الله محبة" (رسالة يوحنا الأولى ٤: ١٦). نرى محبة الله هذه بشكل سامي على أكمة الجلجثة (أي الجمجمة) حيث صُلب المسيح يسوع. "في هذا هي المحبة, ليس أننا نحن أحببنا الله, بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفّارة لخطايانا". (رسالة يوحنا الأولى ٤: ١٠) كانت هذه خلاصة تعاليم الرسول قرب نهاية القرن الأول من الميلاد. أما الرسول بولس فكان قد كتب قبل ذلك بسنين قائلاً بوحي روح الله: "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا". (الرسالة إلى رومية ٥: ٨). ليست

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكفّارة المحبة, بل هي نتيجة محبة الله لشعبه. وهكذا نقول بما أن الله أحبّ المفدِيين فإنه افتداهم من حياة الموت والخطية والشر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الحادي عشر: أولية القداسة في صفات الله) ٢(

عندما ننظر إلى الصليب نرى محبة الله الآب الذي نظّم تدبير الفداء ومحبة الابن الذي قام بفدائنا في جسده وذلك بموته على الصليب, ومحبة الروح القدس الذي يُطبّق عمل المسيح ي قلوبنا. وكما كتب أحد علماء اللاهوت الأتقياء:

"الله محبة. ومن ثم من هذه المحبة الفيّاضة والمنبعثة من ذاته والكائنة أبدياً بيم أقانيم الثالوث الأقدس, برزت هذه المحبة إلى عالم الخطية هذا. إن محبة الجلجثة (أي المحبة التي نراها في صليب المسيح) تندفع من داخل محبة الله العظيمة والأبدية, تلك المحبة الخارجة من قلب الثالوث الأقدس. وكما وردت في رسالة بولس الرسول إلى أهل الإيمان في أفسس: "إذ قد اختارنا فيه قبل إنشاء العالم لنكون قديسين وبدون لوم أمامه. وسبق فعيّننا في المحبة, للتبني لنفسه بيسوع المسيح, حسب رضى مشيئته, لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب, الذي فيه لنا الفداء بدمه, مغفرة الذنوب, على حسب غنى نعمته, التي أسبغها علينا بكل حكمة وفطنة, إذ عرّفنا سر مشيئته, حسب مرضاته التي قصدها فيه". (١: ٤ – ٩). وهكذا نقول أن الابن الأزلي أتى بمحبة السماء إلى هذا العالم المليء بالبغضاء فنهضه إلى ارتفاع تلك الرابية المدعوة بجلجثة (أي جمجمة) وهكذا تُشاهد كل أمة نور الصليب ويُصبح كل عصر متأثراً بلمعان الصليب".

ونجد التعليم الأساسي عن عقيدة الكفّارة في الفصل الثالث من رسالة بولس الرسول إلى أهل الإيمان في مدينة رومية. فقد كتب الرسول عن هذا العصر أي عصر الإنجيل (أي أيام النظام الجديد) قائلاً:

"وأما الآن فقد ظهر برّ الله بدون الناموس (أي بدون الشريعة الإلهية: وهذا يعني أن الطريقة الإلهية للمصالحة بين الله والإنسان غير مبنية على إتمام الإنسان لكل نصوص ومطاليب الشريعة, وذلك لعدم مقدرة الإنسان على العيش حسب مطاليب الشريعة الإلهية إذ صار الإنسان عبداً للخطية منذ ثورته على الله في شخص آدم) مشهوداً له من الناموس والأنبياء (وكلمتا الناموس والأنبياء تشيران هنا إلى الكتاب الذي كان يُقسَم في أيام ما قبل الميلاد إلى قسمين أو ثلاثة أقسام: إذ كان يُدعى أحياناً بالناموس والأنبياء وأحياناً أخرى بالناموس والأنبياء والكتب). برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق, إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح, الذي قدّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله. لإظهار برّه في الزمان الحاضر ليكون بارّاً ويُبرر من هو من الإيمان بيسوع". (٢١ – ٢٦).

نتعلم من هذا الوحي الإلهي ما يلي:

 All rights reserved © 2008-2018

١- قدّم الله المسيح كفّارة فعّالة.

٢- يخلص الإنسان من خطيته وشره عندما يُمارس الإيمان بآلام المسيح النيابية وبموت المسيح النيابي أو البدلي.

٣- كان الله في أيام ما قبل الميلاد قد خلّص المؤمنين بدون أن يعاينوا فدية كافية أو قصاصاً وافياً لخطاياهم وذلك على أساس التطلع مسبقاً إلى قدوم المسيح يسوع. أما وقد جاء المسيح وقام بتقديم نفسه كذبيحة كفّارية, فإننا نرى بكل وضوح عرضاً كافياً وجهارياً لعقاب الخطية.

٤- إن غاية هذه الذبيحة (أي موت المسيح الكفّاري على الصليب) هي أن يكون الله في نفس الوقت مُظهراً لبرّه الذاتي وصافحاً عن خطايا الخطاة ومُخلّصاً إياهم. في أيام ما قبل الميلاد أي في أيام العهد أو النظام القديم لم تكن الذبائح الحيوانية كفّارات حقيقية بل كانت رموزاً وعلامات وإشارات للكفّارة التي سيقوم بها السيد المسيح في ملء الزمن أي لدى تتميمه لقصد الله في إنقاذ البشرية من براثن الخطية والشياطين. فلا بدّ لنا من القول استناداً إلى التعاليم الكتابية التي استقيناها من رسالة بولس الرسول إلى رومية بأن النتيجة الأولى والأساسية للكفّارة هي بأن الله ذاته استطاع بواسطتها أن يبقى بارّاً وأن يُقدّم في نفس الوقت العفو التام عن الخاطئ, أو كما قال الرسول: "ليكون بارّاً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع".

فيما أن المسيح حمل على جسده العقاب الذي استوجبته خطايانا العديدة فإن الله القدّوس يبقى بارّاً وهو في نفس الوقت عينه يمنح غفراناً وحياةً أبديةً رائعة للذين يضعون ثقتهم وايمانهم في المخلّص المسيح. وقد لخّص أحد الشعراء هذا التعليم في الأبيات التالية التي نترنّم بها عن برّ المُخلّص, فقال:

بِرّكَ يــا ربُّ ردا عِـز وثوب يلمـعُ
ألبسه بـين العـِدا وفيـه رأسي أرفـعُ
في يـوم بعثي أقفُ في موقف الحقّ المبين
وفي احتجاجي أهتفُ الحي من أجل دفين
هذا الردا خير الحِلى من كل ثوبٍ أطـهَرُ
ليس فيه عيـب ولا في لونــه تغـيير
ستسمع الموتى نـِدا ربُّ البرايـا القادرِ
ويرتدي أهل الهدى بِرُّ المسيح الناصري

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني عشر: يسوع المسيح: فادي البشرية الوحيد

لقد أشرنا مراراً وتكراراً أثناء دراستنا لأسفار العهد الجديد وكذلك في تعليم الكتاب المقدس المذاعة أسبوعياً على برامجنا وأخيراً في هذه الدراسات الكتابية عن عقيدة الكفّارة إلى أن الإنسان أصبح, بعد السقوط في الخطية, في حالة العجز التام في حياته الروحية وأصبح غريباً عن أمور الله وانضمّ إلى جبهة المعارضة بالنسبة إلى الله تعالى اسمه. يدعو الكتاب المقدس هذه الحالة الروحية المحزنة التي نجد الإنسان فيها بالموت في الخطايا والذنوب. إلا أن الله لم يسمح للإنسان بأن يهبط إلى درجة سفلى وسحيقة التي للإنسان أن يصل إليها (نظراً لسلبية الخطية ولطبيعتها التخريبية), بل ساعد الله تعالى الإنسان بصورة عامة أو يمكننا تسميته بالنعمة العامة. وهكذا أصبح بمقدور الإنسان أن يقوم بأعمال تُعتَبر في حدّ ذاتها صالحة نسبياً. فنرى العديدين من بني البشر – وإن لم يكونوا قد وصلوا إلى اختيار الإنقاذ من الشر – يُظهرون بعض المودّة في علاقاتهم العائلية وضمن المجتمع.

لكن ما تقدّم لا يعني مطلقاً أنه صار بمقدور الإنسان أن يفي مطاليب العدل الإلهي أو أن يقوم بانتشال نفسه من وهدة الهلاك التي سقط فيها, إذ أنه يبقى مدفوعاً بدافع محبة الذات عندما يقوم بعمل تلك الأعمال التي ندعوها صالحة نسبياً. فالإنسان إذن هو بحاجة ماسة إلى مُنقِذ ومُخلّص وفادي, وليس فقط لمن يعطيه نصيحة أو مثالاً صالحاً للسلوك الصائب. فيما أن الإنسان هو "ميتٌ" روحياً فهو إذن بحاجة إلى أن يصير حيّاً روحياً أو أن يولد من جديد أو أن يتجدد ليستطيع أن يحيا كما يطلب الله من جميع مخلوقاته العاقلة.

إن البشرية بحاجة إلى فادي ومنقذ ومُحرر ومُخلّص. ولكن من هو ذلك الذي يقوم بفداء البشرية وبإنقاذها وتحريرها وتخليصها؟ أين هو ذلك الشخص؟ عندما نسأل هكذا أسئلة علينا أن نتذكر جواب الله تعالى في الكتاب المقدس, فهذا الجواب قد صار جزءاً لا يتجزأ من تاريخ البشرية. نعم إن فادي البشرية هو المسيح يسوع وهو وحده قادر بأن يفي مطاليب العدل الإلهي وأن ينوب عن البشرية الخاطئة في آن واحد. لقد تجسّد الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس (أي أخذ طبيعتنا البشرية) فصار الوسيط بين الله والإنسان. وكان يتمتع في شخصيته أو في أقنومه بقيمة غير محدودة وبعظمة لا نهائية ولذلك فإن قيمة عمله الكفّاري على الصليب كانت أيضاً قيمة غير محدودة. ولم يوجد أحد في الوجود بأسره قادراً على أن يقوم بعمل المسيح الفدائي.

ويمكننا القول أن الكتاب المقدس بأسره من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا هو وحي الله عمّا قام به من أجل إنقاذ وفداء الإنسان. ونحن لا نكون مغالين مطلقاً إن دعونا الكتاب بتاريخ الفداء. فعندما نبدأ بقراءة صفحاته نرى أن الله يخبرنا فيها عن خليقة الإنسان وسقوطه في الخطية وحالته بعد السقوط ورحمة الله تعالى التي أوقفت تنفيذ العقاب بصورة تامة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويخبرن تاريخ الفداء بصورة خاصة عن الاستعداد الطويل لقدوم المسيح يسوع في أيام النظام القديم (في أيام ما قبل الميلاد) وأخيراً عن قدوم المسيح في ملء الزمن (أي في الوقت المحدد له من قبل لله) والعمل الخلاصي الجبار الذي قام به وبموته على الصليب وبقيامته من الأموات وبصعوده إلى السماء وعن رجوعه إلى العالم في اليوم الأخير لدينونة الأحياء والأموات.

وعندما نتكلم عن إنجاز عمل الفداء بواسطة موت الفادي المسيح علينا أن نذكر أنه له المجد لم يمت موتاً اعتيادياً. فطريقة موت المسيح أظهرت بأن العدل الإلهي قد أوفي حقّه لأن الذي أخذ على عاتقه إنقاذ البشرية الخاطئة كان عليه أن يموت عنها وأن يحتمل عقاب الخطية ألا وهو الموت. فلنفرض مثلاً أن المسيح مات نتيجة لحادث ما أو بسبب داء ألم به أو نظراً للشيخوخة, لما كان بوسعه إذ ذاك أن يُرضي العدل الإلهي. ونحن نعلم تماماً من الإنجيل أن المسيح قُبِضَ عليه كمجرم وأنه جِيءَ به إلى المحاكمة واشتُكي عليه وعومل بفظاظة وإرهاب وحُكِمَ عليه رسمياً بالموت وصُلِبَ ومات وهو في مُقتبل عمره. كل ذلك حدث للمسيح البار, لماذا؟ لأنه كان يُكفّر عنّا وعن خطايانا نحن بني البشر. إنه كبديل عنا تألم وناب عن أيضاً في موته. وكما كانت الذبيحة في أيام النظام القديم تحمِلُ (رمزياً) خطية مقدّمها, هكذا أيضاً حمل المسيح يسوع خطايانا ومات عنا نيابياً وبدلياً وكفّارياً. ولذلك يستطيع الرسول بولس أن يقول (ويجب علينا نحن أن نقول معه – إن كنا قد آمنّا بالمسيح المصلوب -):

"مع المسيح صُلِبتُ فأحيا, لا أنا, بل المسيح يحيا فيّ". (الرسالة إلى غلاطية ٢: ٢٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على يسوع الفادي ألقي خطيتي

به لنا تحرير من صك لعنةِ

يغسل ذاك الفادي جميع أدراني

وإن تكن آثامي كالقرمز القاني

يسوع فادي نفسي طبيب أسقامي

جميع ما أحويه من جوده السامي

عليه ألقي حِملي وكل أحزاني

لأنه في ضِيقي مولاي نجّاني

نفسي بذاك الفادي تنجو من الغمِّ

لأنه يحميها من غائل الإثمِ

عمّانوئيل ربّي ذاك اسمه عزيزُ

كعُرف طيبٍ ذاك كالذهب الإبريزُ

يا ليتني كالفادي في الحلم والحبِّ

يا ليتني وديعٌ مماثلاً ربّي

يا ليتني مع ربّي مع زمرة الأطهار

مرتّلاً تسبيحاً له مدى الأدهار

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث عشر: الكفّارة في أسفار العهد الجديد

إن الوحي الإلهي الذي جرى في أيام ما بعد الميلاد مدون في أسفار تدعى بأسفار العهد الجديد ذلك لتمييزها عن أسفار العهد القديم حيث دُوّن الوحي الإلهي لأيام ما قبل الميلاد. وكما يُقسم العهد القديم عادة إلى ثلاثة أقسام: التوراة (أو الناموس = الشريعة) والأنبياء والمزامير, تُقسم أسفار العهد الجديد إلى أربعة أقسام: الإنجيل وأعمال الرسل والرسائل وسفر الرؤيا. وسف نُجري مقابلة في هذا الفصل بين الإنجيل والرسائل بخصوص عقيدة الكفّارة.

من الواضح أن الإنجيل لا يذكر موضوع الكفّارة بنفس الطريقة التي تذكر فيها الرسائل هذا الموضوع عينه. ولكن هذا لا يعني أن السيد المسيح لم يكن يُشدد على هذه العقيدة, ولا أن الرسول بولس مثلاً شدد عليها بصورة زائدة للحد.

قبل كل شيء من الواجب أن نذكر بأن رسالة المسيح الرئيسية كانت لعمل الكفّارة, لا للمناداة بها. وقد قام بالتكفير عن خطايانا عندما مات عنا على الصليب. لو لم يَقُم المسيح بعمله الكفّاري على الصليب لما كان هناك إنجيلاً (أي خبراً ساراً أو مفرحاً) للمناداة به. قبل الكلام عن الكفّارة يجب أن تكون الكفّارة قد حدثت وتمّت. ومن مراجعة نصوص الإنجيل نعلم أن تلاميذ السيد المسيح لم يرحّبوا مُطلقاً بتعاليمه التي كانت تُشدد على حتمية آلامه وموته على الصليب. لم يفهم التلاميذ معنى رسالة المسيح إلا بعد أن صار الصليب أمراً واقعياً أي بعد أن تمّ عمل المسيح الكفّاري بموته على الصليب وبقيامته من الأموات وبصعوده إلى السماء وبإرساله الروح القدس لإرشاد جماعة الإيمان في موضوع المناداة بالإنجيل.

وكذلك يتوجّب علينا أن نتذكر أن الرسائل (أي رسائل العهد الجديد) أتت في معظمها إلى الوجود قبل تلك الأسفار التي ندعوها عادة الإنجيل. كتب الرسل رسائلهم إلى المؤمنين في شتى أنحاء عالم المتوسّط قبل أن دعت الظروف وشاءت العناية الإلهية بأن تُظهر أسفار الإنجيل الأربعة. وعندما نتصفّح أسفار العهد الجديد نلاحظ أن أسفار الإنجيل الأربعة تترأس قائمة الأسفار ثم يليها سفر أعمال الرسل فالرسائل فسفر الرؤيا. ولكن هذا لا يعني أن الرسائل هي بمثابة ملحق للإنجيل. غاية هذه الرسائل هي إيضاح عمل السيد المسيح الرئيسي ألا وهو الفداء الذي أتمّه بموته الكفّاري على الصليب. بينما هدف أسفار الإنجيل هو إعطاؤنا معرفة كافية عن المسيح يسوع المخلّص لكي نفهم تماماً قيمة عمله الخلاصي الجبار الذي أتمّه لصالحنا نحن بني البشر.

وحتى الإنجيل لا يتكلم إلا القليل عن حياة السيد المسيح بشكل مفصّل. فبعد أن يُخبرنا الإنجيل عن ميلاد المسيح من العذراء مريم والحوادث التي جرت للمسيح في طفولته,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يسدل الستار على حياته حتى ظهوره علنياً في أرض فلسطين وهو في سنّه الثلاثين. وعندما نفحص مادة الإنجيل بصورة دقيقة نلاحظ أيضاً أن نحو ثلث الإنجيل يصف جميع الحوادث التي جرت للمسيح في الأسبوع الأخير من حياته على الأرض. فلِما هذا الذي نشاهده من تشديد على القسم الأخير من حياة المسيح على الأرض إن لم يكن قصد الله صاحب الوحي أن يُخبرنا بصورة قطعية ونهائية أن رسالة المسيح الأساسية لم تكن رسالة تعليمية ولا شفائية بل خلاصية وفدائية وكفّارية وإنقاذية وتحريرية.

وفي فريضة العشاء الربّاني التي أعطانا إياها السيد المسيح قبيل موته على الصليب نُعطى سراً أو فريضةً نتذكر بواسطتها بأن المسيح جاء ليموت عنا نحن الخطاة وأن جميع خطايانا هي مغفورة ومُكفّر عنها – إن وضعنا ثقتنا التامة فيه, وفيه فقط. وهكذا إن أخذنا سائر تعاليم الكتاب وجدنا وحدة عقائدية لا يمكن السكوت عنها وهذه هي أن السيد المسيح كان قد وفَد عالمنا للقيام بمهمة رئيسية وفريدة, مهمة لم يكن بوسع أي مخلوق أن يقوم بها: وهذه هي مهمة التكفير عن خطايا الناس. وهكذا نفهم تماماً لماذا كان الرسول بولس يدعو المناداة التي كان يقوم بها (أي المناداة بالإنجيل) بكلمة الصليب, إذ لم تكن هناك أية عبارة أخرى تُلخّص بوضوح تام فحوى الرسالة المسيحية كعبارة صليب أو كلمة الصليب. لا فرق إذن بين تعاليم أسفار الإنجيل وأسفار الرسائل, جميعها تتفق في إعلان وإظهار الحقيقة الناصعة وهي أن المسيح يسوع هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم وأنه قد قام بذلك عندما مات عنا نيابياً وكفّارياً على صليب خشبي خارج أسوار المدينة المقدسة منذ نحو ألفي سنة. وفي استطاعة كل من اختبر الإنعتاق من الخطية والشر أن يقول مع الشاعر مترنماً:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تحت الصليب الأكـرم لـي موقـف الأمـنِ

في ظلّـه نفسي أحتمي في أمنُـعِ الحصـنِ

يا مُوئِـلاً في النائبات وراحـة القلـبِ

خُذ بيدي في الظلمات مبدداً كربـــي

هذا ملاذي لي حصين بل ملجـأ النفسِ

فيه التقى حب ثمـين مع عدلـه القدسي

مرقاة نفسي للسـما صـلب محـا إثمـي

ببذل هاتيك الدمـا عـني أنتفـى همّـي

في صلب مُفتدي الخُطاه مـرآة إيمانـــي

منـه أتى إرث الحياه مع صـكِّ غُفرانـي

إني أرى الأمر العجيب في ذلك الصـــلبِ

فيـه التقى إثمي المُعيب بالصّـفحِ والحُـبِّ

إني أوافي للصليـب يا مُنقذي الفـادي

فيه أرى خير النصيب من وجهك الهـادي

لا قوة كـلّا ولا نصـرٌ لنا سـواه

في الأرض يبقى والعُلا مجداً لِمـن يهـواه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع عشر: طاعة المسيح

ذكرنا سابقاً أن الهدفين العظيمين اللذين جاء السيد المسيح من أجل تتميمهما كانا:

١- إزاحة اللعنة التي يرزح تحتها الجنس البشري نظراً لسقوط الإنسان في الخطية.

٢- إعادة الإنسان إلى صورة الله والشركة المقدسة معه تعالى. وهذان العنصران هما جوهريان للخلاص.

ورأينا أيضاً أن آدم كان يُمثّل سائر أفراد البشرية وأنه كان كرئيس للبشرية قد سقط في الخطية عندما ثار على الله. وهكذا يأتي كل إنسان إلى عالمنا هذا وهو ملوّث بمعصية آدم وهو عاجز عن القيام بمطاليب شريعة الله. وهذا العجز هو الآن من صفات الطبيعة البشرية الساقطة. عندما أراد الله إنقاذ البشرية من الوهدة السحيقة التي سقطت فيها, أرسل المسيح يسوع إلى عالمنا للقيام بهذه المهمة الفريدة والعظيمة. وهذا يُفسّر لنا أن المسيح الذي جاء ليكون المخلّص والفادي, كان عليه أن يكون هكذا متّحداً مع الجنس البشري حتى أن عمله الخلاصي والكفّاري كان بوسعه أن يفيد أفراد البشرية الواقعين في أسر قوى الشر. يدعو الكتاب المسيح أحياناً باسم الآدم الثاني وذلك لأنه كالآدم الأول ممثل للبشرية. ولكن بينما فشل آدم الأول في تجربته وأسقط الجنس البشري بأسره, نرى أن آدمنا الثاني (الذي يُمثّل البشرية الجديدة المؤمنة باسمه وبعمله الإنقاذي) نجح نجاحاً باهراً في تتميم سائر نقاط المهمة التي ألقاها الله الآب على عاتقه. فمن ناحية, كمّل المسيح يسوع جميع مطاليب وفرائض الشريعة الإلهية, ومن ناحية أخرى احتمل عن شعبه وفي شخصه العقاب والقصاص الذي كان على البشرية أن تتحمله. ندعو تتميم المسيح لمطاليب الشريعة بطاعته الإيجابية, واحتماله للقصاص (أي لقصاص الخطية) بطاعته السلبية. وعندما نستعرض تاريخ الكنيسة المسيحية وخاصة تاريخ العقائد المسيحية المتعلّقة بالتعليم عن الكفّارة أن الكلام كان بصورة عامة عن طاعة المسيح السلبية, بينما لا نجد إلا النزر اليسير عن طاعة المسيح الإيجابية. ولكنه يجدر بنا ألا نتناسى تلك التعاليم الكتابية التي تذكر ليس فقط آلام المسيح وموته الكفّاري بل أيضاً طاعته التامة للشريعة الإلهية أثناء حياته على الأرض. وحيثما ننسى الوجه الإيجابي لطاعة المسيح نلاحظ أن المؤمنين الذين يقرّون بكل سهولة بأن المسيح تألم ومات عنهم, لا يشعرون مطلقاً بأن المسيح عاش أيضاً من أجلهم, وأن تلك الحياة الطاهرة والكاملة التي عاشها السيد له المجد, كانت أيضاً عملاً نيابياً عنهم. عاش المسيح المخلّص من أجل خاصته والمؤمنين به أي كممثل لهم. وهكذا كسب لهم الحياة الأبدية. وعندما نتأمل ملياً في هذا الموضوع لابد لنا من الإقرار بأن آلام وموت المسيح دفعت بصورة تامة الدَّين الذي كان مستحقاً على الناس تجاه العدل الإلهي. ولكن هذا الأمر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هو سلبي. آلام وموت المسيح تنقذني أنا المؤمن من الموت (إذ أن الموت هو عقاب الخطية). ولكنني كإنسان أجد نفسي بحاجة إلى ثواب إيجابي أيضاً. ويمكننا القول مثلاً بأن طاعة المسيح السلبية قد جاءت بنا من تحت الصفر إلى الصفر أي أنها أرجعتنا إلى الحالة التي كان عليها آدم قبل السقوط. فلقد خلّصنا المسيح بواسطة طاعته السلبية من الخطية ومن عواقبها المخيفة, ولكن تلك الطاعة السلبية لم تعطنا في ذاتها الحق أو الصلاحية للاستقرار في السماء. نتعلّم من الكتاب أن حياة السماء هي مكافأة للذين يحافظون على الشريعة الأدبية بشكل تام ولمدّة امتحانية – أي مثلما كانت حالة آدم في البدء. لو توقّف عمل المسيح الخلاصي على مجرد دفع الدَّين الذي كان مستحقاً على شعبه, لكانوا نظير آدك عرضةً للموت الأبدي فيما إذا عصوا أو خالفوا شروط العهد الإلهي. ولكن الله لم يقم فقط بعمل سلبي في شخص المسيح بل أنقذنا بشكل تام إذ وضع لنا ولحسابنا الطاعة الكاملة والتامة التي أظهرها السيد المسيح طوال حياته على الأرض, أي منذ ولادته من العذراء إلى ساعة موته على الصليب.

طبعاً هذا لا يعني أن المؤمنين بالمسيح يعيشون وكأنهم فوق الشريعة والقانون (نظراً لأن المسيح عاش عنهم حياة الكمال والقداسة). كلا! يعلم المؤمنون كل العلم أن الله يتطلب منهم حياة القداسة والابتعاد عن كل شر ومعصية. ولكنهم يعلمون أيضاً من الكتاب ومن اختباراتهم الخاصة أن حياتهم تبقى حياة غير كاملة وغير خالية من الخطية. فلو كان عليهم بعد إيمانهم بالمسيح أن ينالوا رضى الله بواسطة جهودهم الخاصة لوقعوا في مأزق حرج جداً بل في عبودية غاشمة, لأنه ليس من إنسان على هذه الأرض يقدر أن يستحق السماء بجهوده أو أعماله. فعلى المؤمنين إذن أن يذكروا أن المسيح لم يقم فقط بالموت عنهم أو بالتألم عنهم نيابياً وكفّارياً, بل أنه أيضاً عاش عنهم وقام بتتميم جميع مطاليب الشريعة الإلهية نيابياً وهكذا كسب لهم أيضاً النصيب بدخول ملكوت الله.

فمن الواجب إذن عندما نتكلم عن كفّارة السيد المسيح أن نذكر كيف أن طاعته كانت سلبية وإيجابية وإننا بحاجة ماسة إلى طرفي طاعته هذه لننجو من خطايانا وآثامنا ولنتطلع برجاء حي إلى مجيء ملكوت الله الأبدي حيث سنبقى دوماً مع المسيح وسائر الخالصين مُسبّحين الله وشاكرين إياه من أجل محبته ورحمته وقداسته وعدله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس عشر: حياة المسيح الخالية من الخطية

يُعلّمنا كتاب الله المقدس أن المسيح يسوع المخلّص والفادي عاش هذه الحياة بالمحبة الكاملة وبالخدمة الخالية من محبة الذات. وهذا أمر هام جداً ونحن نتكلم عن كفّارة المسيح لأننا كنا قد رأينا سابقاً أن السيد له المجد قام بالتكفير عنا بواسطة عمله الكفّاري وذلك كان له طابعين: الطاعة الإيجابية والسلبية. آلام وموت المسيح يُشكّلان طاعته السلبية بينم تُشكّل حياة المسيح الكاملة طاعته الإيجابية. وهذه بعض الآيات الكتابية التي تذكر موضوع خُلو حياة المسيح من الخطايا:

كتب الرسول بطرس في رسالته الأولى إلى أهل الإيمان قائلاً:

"فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر, الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً, وإذ تألم لم يكن يُهدد بل كان يُسلّم لمن يقضي بالعدل. الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر, الذي بجلدته شُفيتم. لأنكم كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها". (٢: ٢١ – ٢٥).

وكتب صاحب الرسالة إلى العبرانيين قائلاً عن المسيح يسوع وعن كهنوته الذي كان يفوق كهنوت الناموس الموسوي عظمة ومجداً قائلاً:

"لأنه كان يليق بن رئيس كهنة مثل هذا: قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة, وصار أعلى من السموات. الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب, لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدّم نفسه". (٧: ٢٦ و٢٧).

وقال السيد المسيح لليهود الذين كانوا يعاندونه: "متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي, بل أتكلم بهذا كما علّمني أبي. والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه". (الإنجيل حسب يوحنا ٨: ٢٨ و٢٩).

واستطرد السيد المسيح قائلاً: "وأما أما فلأني أقول الحق لستم تؤمنون بي! من منكم يُبكتني على خطية؟ فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي؟ الذي من الله يسمع كلام الله, لذلك أنتم لستم تسمعون: لأنكم لستم من الله!" (الإنجيل حسب يوحنا ٨: ٤٥ – ٤٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وحتى الشياطين كانت تُقر وتعترف بأن المسيح كان بدون خطية. فعندما طرد السيد المسيح الأرواح النجسة من رجل كان مسكوناً من قِبَلِها, كتب الطبيب لوقا صاحب الإنجيل المعروف باسمه وقال:

"وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس. فصرخ بصوت عظيم قائلاً: أه ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ أتيت لتُهلكنا! أنا أعرفك من أنت: قدوس الله". (الإنجيل حسب لوقا ٤: ٣٣ و٣٤).

وعندما كان السيد المسيح على الصليب قائلاً: "يا أبتاه اغفر لهم!" ولكنه له المجد لم يصلِّ مطلقاً بكلمات كهذه: أُغفر لي – ونحن نعلم أن أعظم القدّيسين لدى اقتراب ساعة الموت يسكبون أنفسهم أمام الله معترفين بخطاياهم وراغبين من الله أن يملأ قلوبهم بالسلام الناتج عن المعرفة الأكيدة بأن خطاياهم قد غُفرت نظراً لاستحقاقات المسيح المصلوب والمُقام من الأموات. ولكننا عندما نأتي إلى فحص حياة المسيح المخلّص نراه له المجد لا يعترف ولا مرة واحدة بخطية ولا يُقدّم ذبيحة لأجل نفسه في الهيكل. وهكذا عندما دنت ساعة موته الكفّاري على الصليب لم يوجد أي ظل من السحاب بينه وبين الله الآب إلا عندما أخذ على ذاته نتائج الخطية نيابة عن البشر.

وهكذا نظراً لحياة المسيح الطاهرة والكاملة حصل لشعبه المؤمن به براً إيجابياً الذي يُحسب لهم ويضمن لهم أيضاً دخول السماء. وكل ما قام به المسيح من آلام ومن إطاعته الإيجابية لله كل هذه الأمور تُعتبر بأنها قد صارت لأجلهم. في المسيح أنجز المؤمنون الطاعة (أي الطاعة الكاملة للشريعة الإلهية) وفيه أيضاً احتملوا العقاب لأجل خطاياهم. وبكلمة مختصرة ينظر المؤمنون إلى طاعة المسيح السلبية كسبب إنقاذهم من الجحيم وإلى طاعته الإيجابية كسبب دخولهم إلى السماء.

ولابد لنا الآن من الكلام عن كيفية الاستفادة من عمل المسيح الكفّاري الذي تم على الصليب. وكنا قد ذكرنا مراراً وتكراراً (أي في مطبوعاتنا كما في برامجنا الإذاعية) أن عمل المسيح الكفّاري هو لصالح شعبه أي المؤمنين به. ومن المهم جداً أن نذكر بهذا الصدد أنه لا يوجد في الإنسان أي أساس لاستحقاق ما قام به السيد المسيح بل كل ما قام به السيد له المجد كان من دافع محبته لنا وهو يمنحنا إياه نظراً لنعمته الفيّاضة والمجانية.

علّم الرسول العظيم بولس في أيامه أننا مُخَلَّصون لا لأننا أبرار في ذواتنا بل نظراً لبِر المسيح الذي يُحسب لنا. فقد كتب منتقداً بني جنسه من اليهود الذين "كانوا يجهلون بر الله – أي طريقة الله لتبرير الإنسان الخاطئ – ويطلبون أن يثبتوا برّ أنفسهم, فلم يخضعوا لبِر الله." (الرسالة إلى رومية ١٠: ٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكتب الرسول إلى أهل الإيمان في مدينة فيلبي المكدونية أنه كان راغباً في خسارة كل شيء لكي يتمكن من أن أُوجد فيه – أي في السيد المسيح – وليس لي بِرّي الذي من الناموس, بل الذي بإيمان المسيح البِرّ الذي من الله بالإيمان". (الرسالة إلى فيلبي ٣: ٩).

وكتب الرسول قائلاً: "لأنه – أي الله _ جعل الذي لم يعرف خطية, خطية لأجلنا, لنصير نحن بر الله فيه". (الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥: ٢١). وهذا يعني أن إثمنا وعقابنا قد نُقلا إلى المسيح كما نُقل بره وطهارته إلى حسابنا نحن. وكل هذه الأمور الباهرة جرت لا لأن المؤمنين يستحقون أي شيء, بل نظراً لنعمة الله أي لعطيته المجانية التي لم يكسبها أي إنسان بمجهوداته الخاصة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس عشر: الخلاص بالنعمة

يهبنا السيد المسيح جميع فوائد عمله الكفّاري على الصليب نظراً لنعمته ولا لأي سبب فينا. فنحن لم نستحق أن نكون موضوع عمل المسيح الخلاصي, ولكن الله هو الذي أحبّنا وأرسل لنا ابنه ليموت عنا على الصليب. كل شيء في الخلاص – من ألفه إلى يائه – هو من الله ولمجد اسمه القدوس.

كتب الرسول إلى أهل الإيمان في مدينة أفسس بآسيا الصغرى قائلاً عن هذا الموضوع: "فإننا نحن صنعه مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد أعدّها الله من قبل لكي نسلك فيها". (الرسالة إلى أفسس ٢: ١٠). نلاحظ هنا أن الرسول بولس لا يقول أن هذا التغيير الجذري في حياتنا حدث لأننا قد عملنا أعمالاً صالحة, بل ينسب الرسول العمل لله ويقول أن المؤمنين هم مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد أعدّها الله من قبل لكي نسلك فيها. فهذه الأعمال لا تنبع منا بل من الله وعلينا أن نسلك فيها بنفس المعنى في حالة الشجرة الجيدة التي تعطي ثمراً صالحاً. فأعمال المؤمنين الصالحة هي ثمار الخلاص العظيم الذي أتمّه الله فيهم ولهم, ولا أساس هذا الخلاص.

أما في الرسالة إلى أهل الإيمان في غلاطية, فقد كتب الرسول بولس: "لأنه لو أُعطي ناموس قادر أن يحيي لكان الحقيقة البر بالناموس". (٣: ٢١). "لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب". (٢: ٢١). يُعلّمنا الرسول في ما تقدّم أنه من المستحيل للإنسان تخليص نفسه بواسطة الأعمال حتى ولو كانت هذه الأعمال واردة في نص شريعة موسى التي يسمّيها الكتاب باسم ناموس. هذا لا يعني مطلقاً وجود خلل في شريعة الله ولكن الشريعة في ذاتها عاجزة عن إعطاء الإنسان القوة والمقدرة على التخلّص من الخطية الكامنة في حياته. لو كنا قادرين أن نُخلّص أنفسنا بأنفسنا لما كانت هناك حاجة لمجيء المسيح ولآلامه ولموته الكفّاري على الصليب.

وهكذا نَخلُص إلى القول بأن الفداء والخلاص المقدّمان في الكتاب المقدس هما من الله تماماً. فقبول الإنسان لدى الله غير مبني على أساسين بل على أساس واحد, وهذا الأساس هو عمل السيد المسيح الكفّاري على الصليب. وهذا ما دفع كتّاب أسفار العهد الجديد بان يقولوا: بالنعمة لا بالأعمال!... وحتى الإيمان الذي بواسطته ننال هذه العطية المجانية, هذا الإيمان هو عطية الله. وقد ورد في رسالة بولس الرسول إلى الإيمان في أفسس: "فإنكم بالنعمة مُخلَّصون, بواسطة الإيمان, وهذا ليس منكم, بل هو عطية الله. وليس هو من أعمال صالحة, كي لا يفتخر أحد". (٢: ٨ و٩).

وورد في رسالة بولس إلى رومية: "مُتبررين مجاناً بنعمته". (٣: ٢٤) وكتب النبي العظيم أشعياء عن بر الإنسان الذاتي بأنه: "كثوبٍ نجسٍ (أو كخِرقٍ قدرةٍ)" في نظر الله. (٦٤:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤). وكتب بولس إلى ابنه الروحي تيطس قائلاً: "لا بأعمال في بر عملنا نحن, بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس". (الرسالة إلى تيطس ٣: ٥)

وحسب تعاليم الرسول بولس, السيد المسيح هو الكل في الكل في جميع أمور الخلاص (الرسالة إلى أهل كولوسي ٣: ١١). أما الإنسان فهو لاشيء من جهة ذلك العمل الإلهي الجبار وليس عنده في ذاته ما يستحق الخلاص. لسنا نحن بني البشر إلا من آخذي الخلاص, نحن نتناول الخلاص بالنعمة, وحياتنا من أولها إلى آخرها هي بالنعمة وسنظل هكذا إلى أبد الآبدين. ليست الأعمال الصالحة أساس الخلاص بل إنما هي ثمرة وبرهان على أن الإيمان هو إيمان حي وليس بمجرد اعتقاد عقلي محض. فالأعمال الصالحة هي نتيجة ذلك العمل العظيم الذي يقوم به الروح القدس في قلوبنا (أي ما يُسميه الكتاب في كثير من الأحيان باسم الولادة الثانية أو التجديد). وما يُنتظر منا تجاه جميع هذه الأمور العظيمة والباهرة هو أن نشكر الله ونحمده في جميع أمور وأحوال حياتنا ونُسبّح اسمه العظيم ونُكيّف حياتنا بمقتضى مطاليب وصاياه وأحكامه. ولو لم يكن الخلاص بالنعمة المجانية لما كانت التوبة ممكنة على فراش الموت ولما أكد المسيح المصلوب خلاص المُجرم الذي كان قد صُلب بالقرب منه والذي استنجد به في الساعة الأخيرة من حياته.

وإذ كنا ذكرنا مراراً في هذه الدراسات الكتابية عن طاعة المسيح الإيجابية والسلبية فإنه لا يجوز لنا مطلقاً أن نفصلهما عن بعضهما البعض ضمن حياته له المجد. علينا أن نذكر أن المسيح كان مطيعاً أثناء حياته إطاعة تامة للشريعة الأدبية (الأخلاقية) في كل ما افتكر به أو قاله أو عمله. وكذلك وبدرجات متنوعة وفي كل لحظة من حياته على الأرض إتضعَ المسيح أو تألم. وقام بذلك بشكل يفوق طاقتنا إدراكه لأنه له المجد ملك العالمين وخالق الأكوان وقدوس ومُبارك وقدير وغني ومع ذلك وُلِدَ من العذراء مريم كطفل عاجز وأخضع ذاته كإنسان لحدود طبيعته البشرية لمدة ٣٣ سنة. فاحتمل التجارب التي قام بها إبليس وكان يحيا – وهو ذو الطبيعة الطاهرة والحسّاسة – بالقرب من الخطاة واختبر تعبيرات الناس ولعناتهم وجحودهم ومقاومتهم وبغضهم. واختبر السيد المسيح الإعياء والجوع وكان يعلم كل العلم أثناء حياته الجهارية على الأرض أن موت الصليب اللعين كان بانتظاره.

وعلى الصليب قاوم المسيح كل تجربة تقوده للشك في الله أو لبغض أعدائه أو لارتكاب أقل إساءة ضد أولئك الذين عاملوه بكل احتقار. فمع أننا نُميّز وجهي طاعة المسيح, إلا أنهما متحدان معاً في شخصه العظيم وكلاهما أدّيا إلى الخلاص العظيم والعجيب الذي يمنحنا إياه الله بنعمته المجانية الجبّارة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع عشر: الصلب على الجلجثة

عندما نتكلم عن موت السيد المسيح لا نذكر موتاً اعتيادياً بل نُقرن ذلك بكلمة الصليب. والموت بالصلب هو مخيف للغاية. كانت قِطع الصليب توضع مسطحة على الأرض فيُمدّ عليها المحكوم عليه بالصلب. يأتي بعد ذلك الجندي الروماني بمطرقة ويدقّ مسامير حديدية على اليدين والقدمين فيُسمِّرها على الخشب الخشن. وبعد أن يتم تسمير الجسد هذا على الصليب يُرفع الإنسان مه صليبه ويُثبّت طرف الصليب الأسفل في حفرة كانت قد أُعدّت من أجل ذلك. وكانت الضحية تتلوى من الآلام المُبرحة. وكانت الجروح تنتفخ وكان العطش يُصبح شديداً للغاية. وكانت الحُمّى اللاذعة تحرق جسد الإنسان المصلوب. وكانت الضحية إذ ذاك تُرحّب بقدوم الموت الذي كان الباب الوحيد للنجاة من هذه الآلام الجسدية التي لا تُطاق. لم يخترع عقل الإنسان أية طريقة أشدّ عذاباً من الإعدام بالصلب. فلنذكر جيداً أن المسيح يسوع احتمل هذه الآلام التي لا توصف لأجلنا نحن الخطاة والأثمة.

وعلينا أن نذكر أنه من المستحيل لنا نحن البشر أن نسبر غور آلام المسيح. فالمعلومات المعطاة لنا في الإنجيل هي جزئية عن موت السيد المسيح على الصليب. ولكن آلام السيد له المجد لم تكن مجرد آلام جسمانية على الصليب – لأنها لو اقتصرت على ذلك لما اختلفت جوهرياً عن آلام العديدين من الناس الذين صُلبوا إبان احتلال الرومان للبلاد المقدسة. لم تكن آلام المسيح مجرد آلام جسدية, بل إنه علاوة على تلك الآلام المُبرحة التي اختبرها على الصليب (من الناحية الجسدية) اختبر السيد له المجد آلاماً روحية فريدة. فعندما صرخ وهو معلّق على الصليب: "إلهي, إلهي, لماذا تركتني؟" فإن ذلك أشار إلى أن المسيح كان يتألم روحياً وأن تلك الآلام كانت أشد من آلامه الجسدية.

ولقد لاحظنا مراراً أن العقاب الذي لحق بالخطية أصلاً ليس مجرد انفصال الروح عن الجسد (والذي هو الموت الطبيعي), بل انفصال النفس عن الله والذي هو الموت الروحي. ولقد تألم السيد المسيح ليس فقط بانفصال الجسد عن الروح بل أيضاً روحياً عندما حجب الله وجهه عنه. فعندما كان المسيح مُعلّقاً على الصليب كذبيحة الخطية عن شعبه سُحبت منه تلك العلاقة الروحية الفريدة التي كانت بين نفسه البشرية وبين الله. ستر الله وجهه عن المسيح المصلوب. فنفس المسيح البشرية التي كانت في بستان الجثسيماني قد "ابتدأت أن تندهش للغاية وأن تضطرب بشدة" صارت على الصليب منقطعة عن كل إنارة إلهية.

ولم تُسحب عن المسيح فقط النعمة الخاصة بل حتى النعمة العادية سُحبت منه كم نرى أنه له المجد وهو يتعذّب بشكل كبير لم يسمح لأحد بأن يعطيه مخدراً للتخفيف عن آلام الجسد. وكان اللّصان اللّذان قد صُلبا على جانبيه قد خُدّروا بعد تعليقهما على الصليب كما كانت عادة الرومان. أما السيد المسيح فإنه رفض أي شيء يُخفف من آلامه التي كان قد جاء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليتحمّلها بصورة نيابية وكفّارية عن المؤمنين به. وهكذا تألم المسيح وهو يتمتّع بكافة حواسه بدون أي تخدير. حتى ثيابه نُزعت عنه وتُرك بحالة العار معرّضاً لتهكّمات الرُعاع. والنور الذي هو من أعظم عطايا الله الاعتيادية, حتى النور حُجب عن المسيح لمدة ثلاث ساعات وهو على صليب الجلجثة. فهذه الأكمة خارج مدينة القدس قدّمت مشهداً لم يُرى نظيره قط في التاريخ البشري القديم ولن يُرى مشهداً مثله بعد ذلك. ولو استطعنا أن ننظر إلى داخل نفس المسيح لشاهدنا أعظم صراع روحي وأضخم جهادٍ عرفه التاريخ.

وقف المسيح المصلوب أمام المحكمة الإلهية الرهيبة كبديل عن الخاطئ وعوضاً عنه. وإذ تحمّل انقطاع العلاقة الروحية مع الله الآب فإنه نزل حرفياً إلى الهاوية, لأن الهاوية هي – من الناحية المبدئية – الانفصال عن حضرة الله. طبعاً هذ لا يعني أن نفس المسيح تألمت من تقريع الضمير أو من أي نوع من الشعور بالإجرام, ذلك العذاب الذي هو في الهالكين في الجحيم. لم يكن عند المسيح يسوع أية خطية شخصية. وكذلك لا نعني بأن ذلك الانفصال استمر بعد موت المسيح على الصليب. لقد تم كل شيء على الصليب. تم العمل الخلاصي والكفّاري على الصليب. فعندما مات المسيح على الصليب نفّذ بذلك جميع تدابير الخطة الإلهية لخلاص الإنسان من الخطية.

وهكذا عندما انتهت الآلام المعيّنة للمسيح عاد النور الإلهي فبزغ على نفس المُخلّص فلذلك نسمع صوت انتصاره: "لقد تمّ" (أي لقد أُكملت الكفّارة) وبعد ذلك قال السيد المسيح وهو يشعر بمحبة الآب وعطفه: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي". وهكذا أتم السيد المسيح خلاصنا بدون أية مساعدة بشرية وفتح لنا الباب الوحيد للمصالحة مع الله وللقيام بالعيش حياة جديدة ومنتصرة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقد نظّم أحدهم هذه الترنيمة عن صليب المسيح:

خَلِّني قُرب الصليب حيث سال المجرى
من دم الفادي الحبيب داء نفسي يبرا
قرار
في الصليب في الصليب راحتي بل فخري
في حياتي وكذا بعد دفن القبرِ
قد محا عند الصليب دم ربّي إثمي
وعن القلب الكئيب زال كل الهمِّ
قد رأينا في الصليب قوة الرحمانِ
إذ بدا أمر عجيب فدية للجاني
من قضى فوق الصليب ذاك جُلُّ القصدِ
سأراه عن قريب فوق عرشِ المجدِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثامن عشر: المسيح كفادينا

نتعلم من قراءتنا للكتاب المقدس أن السيد المسيح أنجز عمله الفدائي بواسطة دفع الفدية. فقد صرّح السيد له المجد: "كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَمَ بل ليبذل نفسه فدية عن كثيرين". (من الإنجيل حسب متى ٢٠: ٢٨) وقال في مناسبة أخرى: "لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَمَ بل ليَخدُمَ وليبذل نفسه فدية عن كثيرين". (من الإنجيل حسب مرقس ١٠: ٤٥) ولابد أن هذه الكلمات الربانية كانت تجول في فكر الرسول بولس عندما كتب إلى ابنه الروحي تيموثاوس في الرسالة الأولى: "لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلّصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون, لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع". (٢: ٣ – ٥).

وكتب الرسول بولس إلى أهل الإيمان في مدينة كورنتوس وفي الرسالة الأولى: "وأنكم لستم لأنفسكم, لأنكم قد اشتُريتُم بثمن". (٦: ١٩ و٢٠). وتطرّق الرسول إلى الكلام عن ذات الموضوع في كلماته الوداعية التي تفوّه بها أمام شيوخ وقساوسة الكنيسة المسيحية في مدينة أفسس الواقعة في إقليم آسيا الصغرى: "احترزا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه". (سفر أعمال الرسل ٢٠: ٢٨).

وكتب الرسول بولس أيضاً عن هذا الموضوع في رسالته إلى المؤمنين في إقليم غلاطية: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا". (٣: ١٣) وكتب إلى ابنه الروحي تيطس: "لأنه قد ظهرت نعمة الله المُخلِصة لجميع الناس, معلِّمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقّلِ والتقوى في العالم الحاضر, منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويُطهّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة". (٢: ١١ – ١٤).

وبينما يتطلّب من التلميذ المنخرط في سلك التلمذة المسيحية بأن يخسر حياته في خدمة ربه وفاديه المسيح, نرى أن نصيب المسيح كان بأن يبذل نفسه باختياره لأجل شعبه.

وبحث في موضوعنا هذا الرسول بطرس أيضاً عندما كتب في رسالته الأولى:" عالمين أنكم افتُديتُم لا بأشياء تُفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تَقَلّدتموها من الآباء, بل بدم كريم من حَمَلٍ بلا عيبٍ ولا دنس: دم المسيح". (١: ١٨ و١٩). أما في رسالته الثانية فإن بطرس الرسول حذّر المؤمنين من أولئك الذين "يدوسون بدع هلاك وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم ..." (٢: ١) ويخبرنا يوحنا الرسول في سفر الرؤيا أن الخالصين من سائر الشعوب والأقاليم ينشدون قائلين: "مستحق أنت أن تأخذ السِفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة, وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فسنملك على الأرض ... مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة". (٥: ٩ و١٠ و١٢).

ومعنى كلمة افتداء هو شراء الشيء من جديد أو الإنقاذ بواسطة الشراء. ومعنى كلمة فداء هو الإنقاذ بواسطة دفع الفدية. وتعليم الكتاب هو أن المسيح صار فادينا وأنه افتدانا أو اشترانا بثمن باهظ للغاية ألا وهو دمه الكريم. وهكذا نكرر ما ذكرناه مراراً بأن رسالة المسيح الرئيسية كانت موته أي بذل حياته كفدية ونيابة عن الآخرين الذين كانوا يستحقون الموت كل الاستحقاق. لو لم تكن مهمة المسيح الرئيسية عمله الفدائي على الصليب لما كان قد جاء إلى عالمنا هذا, لأنه كان من الممكن لله أن يستخدم إنساناً من بيننا ليقوم بمهمة تعليمنا عن الله وعن شريعته المقدسة, خاصة وأنه قد سبق وأقام أنبياء من بين البشر. لكنه من المستحيل لنا ونحن نواجه الأمر الواقع إلا وأن نقول بأن تجسّد كلمة الله وصلبه وموته ... جميع هذه الأمور تبقى مجرد ألغاز إن لم نُقر أيضاً مع الكتاب بأن المسيح قام بها من أجل فدائنا نحن بني البشر.

وقد قال أحد رجال الله الأتقياء وهو طبيب جراحي وخادم الكلمة الإلهية في آن واحد, كتب ما يلي عن موضوعنا هذا: "لست أنا الذي أقرر بأن المسيح سيكون ربي, إنه تمجّد اسمه ربي وسيدي منذ الآن! لقد كنت عبداً للخطية والشيطان. مهما حاولت وجاهدت فإني لم أتمكن من الحصول على حريتي. إني لم أكن قط إنساناً حراً!" هأنذا بالإثم صُوِّرتُ, وبالخطية حَبِلَت بي أمي كما قال النبي داود في المزمور الحادي والخمسين. نعم لقد كنتُ عبداً ولبقيتُ عبداً لو لم يأتِ المسيح "ويشتريني بثمن". فماذا إذن؟ يقول الرسول: "فأنتم لستم لأنفسكم". نعم لست أنا بعد حراً إذ أني قد اشتُريتُ من قبل سيدٍ جديد, أنا عبد للمسيح. هو ربي لأنه اشتراني, وهو لا يطلب مني نفسي وحياتي وكل مالي .... إنها له, فهو له المجد قد اشتراها كلها, فهي له. أنا له لأنه ربي ومالكي, أنا له لأنه قد اشتراني بدمه الكريم".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهذه ترنيمة تصف لنا آلام السيد المسيح وموقف المؤمن من عمل المسيح الفدائي والكفّاري:

كم ذُقتَ من عـذاب يـا رأس قُدس اللـه
ها الشوك فيك يفـرى مشـوَّه الجبـــاه
تترك أســنى تـاجٍ يـا رأسُ في عُـلاك
وبالهـوان ترضـى أذوب في رضـــاك
يـا أيهـا المُحيَّـا يـا بهجـة الأفـلاك
كيف تخـور تَعيـا قـد فاتـني الإدراك
مجـدُ ضياك الأسـنى نضارةُ الشِّـــفاه
ولّـت بل اضمحلّـت لـم يبقَ مـا نـراه
وإن تكـن مُهانـا يـا رأس غِبطَـتي
كـلُّ افتخـاري أنـي أدعـكَ حِصَّـتي
فقد شَقِيتَ عـنّي قد كـان لي القصاص
فَديتـني من بؤسـي وهبتـني الخـلاص
بالشكر فاض قلـبي بالحَمـدِ والمديح
لـكَ وَقَفتُ عُمـري يا راحِمـي الذَبيح
جَـدّد غيّر شكلي ذِهنـاً وخِدمـةً
وقـطُّ لا تدعـني أحيـدُ خُطـوة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل التاسع عشر: المبدأ التمثيلي

عندما نقوم بدراسة عميقة للوحي الإلهي نجد أن الله تعالى خلق الإنسان ووضع في حياته مبدأ التمثيل أو النيابة. فعندما نعود إلى بداية الجنس البشري نجد أن آدم (وهو الإنسان الأول) لم يُمِّل نفسه فقط, بل كان رأس وممثِّل الجنس البشري بأسره. هذا الذي يُفسّر لنا أن ما صار في حياة آدم إنما أثّر على حياة البشرية كلها وهذا الذي يُفسّر لنا أيضاً أن آدم الثاني (وهو السيد المسيح) كان أيضاً بمقدوره أن يُمثّل سائر الذين كانوا له (أي المؤمنين به وبعمله الفدائي).

ومن المهم جداً أن نرى أن الكتاب المقدس ينظر إلى الجنس البشري كوحدة واحدة وكعائلة كبيرة منحدرة من إنسان واحد ومرتبطة معاً برباط القرابة والدم. هناك تكاثف وترابط في جسم البشرية أكثر بكثير مما تُعلِّمُهُ فلسفات بني البشر والتي هي في كثير من الأحيان مدفوعة من قِبَل دوافع عنصرية ذات الآفاق الضيقة. ولكن ما نلاحظه مع الكتاب عن موضوع التكاتف والترابط ضمن البشرية لا ينطبق على الملائكة إذ أنهم خُلِقوا لا كجنس أو سلالة, بل مستقلّين الواحد عن الآخر وخُلقوا جميعاً في نفس الوقت. وعندما امتحِنَ الملائكة بخصوص طاعتهم وولائهم لله تعالى اسمه, فإن كل واحد منهم أُمتُحِنَ فردياً وشخصياً.

وهكذا إذ نأخذ وحدة الجنس البشري بعين الاعتبار نستطيع أن نفهم كيف أن الله تقدّم من أبينا آدم وقطع معه عهداً ندعوه باسم "عهد الأعمال". وكان آدم (وهو رأس البشرية وممثلها) يقوم بتمثيل جميع أفراد البشرية عندما دخل في ذلك العهد مع الله. فالامتحان الذي جرى لآدم إنما كان معه كممثل للبشرية وليس فقط معه كفرد. فلو نجح آدم في ذلك الامتحان أي لو أطاع الله طاعة تامة لكان نصيبه (ونصيب ذريته) الحياة الأبدية السعيدة. ونحن نعلم بكل أسف وحزن أن آدم لم يثبت في ولائه لله ولم يبقَ مطيعاً للكلمة الإلهية التي خرّمت الأكل من الشجرة المحرّمة, ولذلك سقط آدم وسقط معه الجنس البشري بأسره.

وعندما خلق الله الإنسان خلقه إنساناً كاملاً من نوعه وهو يتمتع بميل إيجابي نحو الخير والفضيلة – ولكنه (أي الإنسان) كان قابلاً لسقوط. كان آدم كاملاً كما أن البرعم هو كامل وقابل بأن يتطور إلى زهرة جميلة, أو نظير البلوطة في كمالها وهي أهل بأن تتطور وتصبح شجرة سنديان كبيرة. لم يخلق الله الإنسان مثل آلة صمّاء تدور من نفسها بدون تفكير أو وعي. لقد خلق الإنسان شخصاً حراً أخلاقياً قادراً أن يختار الشر ويغوص فيه ويتحمّل سائر النتائج الصادرة عن ذلك. وقد كتب عن هذا الموضوع أحد علماء الدين الأتقياء قائلاً: "يمكن التوصّل إلى الكمال الأخلاقي, ولكن لا يمكن لهذا الكمال بأن يُخلق.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد خلق الله كائناً قادراً على القيام بأعمال أخلاقية لكنه تعالى لم يخلق كائناً فيه مخزونة جميع ثمار هذه الأفعال الأخلاقية .. .

لو اختار آدم الخير لكان في نفس الوقت قد أنتج صلاحاً أخلاقياً ولكان الله قد ثبّته في حالة الخير والصلاح كما أنه تعالى ثبّت الملائكة الأخيار في صلاحهم.

وعندما نأتي الآن إلى الكتاب المقدس نجد ي سفر التكوين (وهو سفر موسى الأول) والفصل أو الأصحاح الثالث سرداً لحادثة السقوط بلغة يفهمها الأولاد ولكنها في نفس الوقت ذات معنى عميق جداً. كان آدم يتمتع بفرصة حسنة جداً للنجاح وكان محيطه في جنّة عدن محيطاً ملائماً للاختيار الحسن. وبالرغم من التحذيرات الربّانية التي استلمها الإنسان الأول وبالرغم من وضوح الإنذار الإلهي من جهة عواقب العصيان المخيفة, نجد أن آدم اختار الشر عوضاً عن الخير. يُؤكد الكتاب المقدس بأن آدم هو سقط منذ تلك اللحظة ي فجر التاريخ, سقط آدم هو ونسله في حمأة الخطية وجلب على البشرية بأسرها الانحطاط الأخلاقي الناتج عن السقوط. واختيار البشرية عبر العصور يدعم هذا التفسير الكتابي لأن جميع الناس باختلاف مذاهبهم يُقرّون بوجود خلل في حياة الإنسان وأنه لابد من عمل شيء حاسم للتخلّص من هذا الخلل الروحي والأخلاقي.

لكن الكتاب لا يُعلِّم وحدة الجنس البشري فقط فيما يتعلق بالسقوط في الخطية وبتأثير آدم على حياة سائر أفراد نسله من بني البشر, بل يُعلّم الكتاب أيضاً هذه الوحدة الأساسية للجنس البشري لكي يُظهِر لنا أهمية مبدأ التمثيل في موضوع خلاص وفداء البشرية من الموت. فقد دخل السيد المسيح في عهد فداء مع الله الآب والذي يتعهد بواسطته بأن يفدي شعبه من الخطية ومن عواقبها الكثيرة. وقد تمكن السيد المسيح من القيام بذلك نظراً لكون مبدأ التمثيل أو النيابة ساري المفعول في البشرية ليس فقط فيما يتعلق بعلاقتها مع آدم الأول بل أيضاً فيما يتعلق بالذين يُمثّلهم المسيح من أفراد البشرية. ولذلك ينظر الكتاب إلى المسيح – كآدم الثاني الذي قام بعملية فداء وإنقاذ وتحرير المؤمنين به والذين هم خاصته.

فجميع ما قام به السيد المسيح من آلام وموت على الصليب ومن طاعته التامة والكاملة لجميع مطاليب الشريعة الإلهية, كل هذه الأمور بأجمعها وهي عظيمة وباهرة للغاية, صارت لحساب أولئك الذين هم في المسيح أو للمسيح – أي جميع الذين يتّحدون معه بالإيمان والذين ينظرون إليه كممثلهم ونائبهم. وهكذا نرى أن مبدأ التمثيل يساعدنا على فهم موضوعين حيويين لهما علاقة وثيقة بصميم حياتنا: أولاً موضوع وجودنا نحن البشر في حمأة الخطية والشر, فإن ذلك يعود إلى أن أبانا الأول آدم فشل في البدء في العيش حسب مطاليب العهد الذي قطعه الله معه, وثانياً موضوع خلاصنا من حمأة الخطية والشر وذلك يعود إلى المسيح يسوع رئيس البشرية الجديدة الذي يُنقذ ويُخلّص ويُحرر إلى التمام جميع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذين يؤمنون به إيماناً قلبياً وصادقاً, وذلك لأنه مثّلهم وناب عنهم في عمله الفدائي والكفّاري في ملء الزمن أي في بدء القرن الأول من الميلاد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل العشرون: المبدأ التمثيلي: شواهد كتابية

رأينا في درسنا السابق أن الله خلق الإنسان ووضع في صُلبِ نظام حياته المبدأ التمثيلي, بحيث أن ما قام به آدم كان له تأثير فعلي في حياة جميع المنحدرين من آدم. ومع أن هذا المبدأ كان بمقدوره إعطاء الحياة الأبدية (فيما لو أطاع آدم الله) لسائر الذين ينحدرون من آدم (أي لجميع أفراد الجنس البشري), إلا أنه تاريخياً صار المبدأ الذي بواسطته حُسِبت خطية آدم للجنس البشري بأسره – إذ أنه ويا للأسف الشديد لم يَثبُت آدم على حالته الأولى في الطهارة والبر, بل ثار على الله وجلب على نسه وعلى ذريته دماراً شاملاً. لكننا قلنا أن الله وضع مبدأ التمثيل في صُلب حياة البشرية وهكذا نراه تعالى اسمه يلجأ إلى تخليص الناس من الخطية بواسطة المسيح الذي تجسّد وأخذ على عاتقه بأن يعيش حياة كاملة لحساب البشر وليموت عنهم نيابياً وكفّارياً.

وهكذا فان مبدأ التمثيل الأساسي كان ساري المفعول في موضوع الخلاص من الخطية وليس فقط في موضوع الوقوع في الخطية. وعلينا الملاحظة تواً أن جميع الناس ينحدرون من آدم (إذ أن العلاقة معه هي علاقة بشرية محضة)و بينما لا يمكن حسب تعليم الكتاب بأن يقال أن جميع الناس هم في المسيح (إذ أن العلاقة مع السيد له المجد هي ذات طابع روحي ورابطتها ألإيمان الحي).

لنأتي الآن إلى الاستشهاد ببعض الآيات الكتابية لأننا لا نريد مطلقاً أن نظهر وكأننا نتكلم عن موضوع خطير كموضوع التمثيل النيابي في أمور الحياة والموت ونحن مدفوعين من قبل آراء وفلسفات بشرية. وقد كتب الرسول بولس في رسالته إلى أهل الإيمان في مدينة رومية والتي كانت عاصمة العالم المتمدن في تلك الأيام قائلاً عن موضوعنا هذا:

"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم, وبالخطية الموت, وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع لكن قد مَلَكَ الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يُخطئوا على شبه تعدّي آدم الذي هو مثال الآتي ... لأنه إن كان بخطية الواحد قد مَلَكَ الموت بالواحد, فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح. فإذا كما بخطية واحدة صار الحُكم إلى جميع الناس للدينونة, هكذا ببر واحد صارت الهِبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِلَ الكثيرون خطاة, هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً". (٥: ١٢ – ١٩).

وعندما بحث الرسول في موضوع القيامة من الأموات, كتب في رسالته الأولى إلى أهل الإيمان في مدينة كورنثوس اليونانية قائلاً:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لأنه كما في آدم يموت الجميع, هكذا في المسيح سيحيا الجميع" (١٥: ٢٢) والمعنى هنا, كما تُوضِّح تماماً القرينة, هو أنه كما أن كل الذين انحدروا من آدم يشتركون في خطيته ويموتون, هكذا أيضاً كل من هم بالإيمان في المسيح سيحيون أيضاً به. وعبارة في المسيح تعني في كتابات الرسول: أن يكون الإنسان متصلاً حيوياً بالمسيح فيَخلُص إذ ذاك من الخطية ومن سطوتها الغاشمة. حسب تعليم الرسول إذن إن الذين هم في المسيح هم أحياء روحياً, أما الذين ليسوا في المسيح فهم بعد أموات روحياً.

وبناءً على وحدة الجنس البشري كان ممكناً للإنسان بأن يكون موضوع فداء وبواسطة عمل بديل عنه. لكن هذا الأمر لم يكن ممكناً بالنسبة إلى الملائكة. فنحن نقرأ عنهم مثلاً في رسالة يهوذا: "الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم, حفظهم (أي الله) إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام". (عدد ٦) أما صاحب الرسالة إلى العبرانيين فإنه بعد أن قال بأن المسيح قد تجسد لكي يستطيع أن يُنجز عمله الفدائي لصالح البشر, أردف قائلاً: "لأنه حقّاً ليس يُمسك الملائكة بل نسل ابراهيم". وفي الأصل اليوناني تعني هذه الكلمة المعربّة بيُمسِك (أي يساعد), أي أن المسيح الذي تجسّد قام بذلك من أجل بني البشر لا من أجل الملائكة. فعندما امتُحن الملائكة بخصوص ولائهم وطاعتهم لله تعالى فإن كل واحد منهم كان مسؤولاً فردياً وشخصياً عن موقفه من الله. بينما نجد أن بني البشر سقطوا في الخطية بواسطة عمل ممثل أو نائب عنهم وبدون جرام شخصي. وهذا إذ صار لهم فيما يتعلّق بالسقوط يصير لهم أيضاً فيما يتعلّق بالنجاة من السقوط أي أن بني البشر هم قابلون بأن يُفدوا من قِبَلِ ممثل أو نائب بدون استحقاق شخصي لذلك الفداء. وهذا بالفعل ما قام به السيد المسيح في عمله الفدائي الذي أتمَّه على الصليب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الحادي والعشرون: طقوس ورموز نظام العهد القديم

نأتي الآن إلى الكلام عن موضوع طقوس ورموز أيام العهد أو النظام القديم. فمع أننا لا نعيش في ظل ذلك النظام بل منحنا الله بأن نحيا في ظل نظام العهد الجديد, إلا أنه يتوجب علينا أن نكوّن فكرة صائبة عن موضوع طقوس العهد القديم ولاسيما نظام الذبائح الذي كان يُعمل به في تلك الأيام. فعندما نقرأ الكتاب المقدس تجد أن قسماً كبيراً منه يبحث في هذه المواضيع أي ذبائح العهد القديم والطقوس والرموز الدينية التي كانت سائدة آنئذ. فإن كان الله قد أمر بها في أيام موسى, فلماذا لا نقوم بعملها في هذه الأيام؟ وماذا كانت قيمتها في أيام ما قبل المسيح؟ هذه أسئلة هامة وسوف نجابهها بكل صراحة آخذين بعين الاعتبار سائر تعاليم الوحي الكتابي ومتذكرين واجبنا بأن نُفسّر كل شيء من أمور نظام العهد القديم على ضوء تعاليم نظام العهد الجديد.

كثيرون من الذين يبدأون بقراءة مواضيع الكتاب التي أُوحيَ بها في أيام العهد القديم ولاسيما أسفار موسى الخمسة, يصابون بحيرة شديدة عندما يقفون على ذلك النظام المزخرف بذبائحه وتقدماته وطقوسه واحتفالاته العديدة. ما معنى هذه الأمور الغريبة هنا نحن الذين نعيش في ظل النظام الجديد؟ قبل كل شيء يتوجب علينا أن نذكر هذا المبدأ الهام المنطبق على أيام ما قبل المسيح (أي أيام نظام العهد القديم): كانت تلك الأيام أيام الرموز. فقد كان بنو إسرائيل قد تحرروا منذ عهد قريب من عبودية فرعون, وكانوا في غالبيتهم لا يُجيدون القراءة ولا الكتابة. وقد اعتاد بنو إسرائيل أثناء إقامتهم الطويلة في أرض مصر أن يروا جميع أمور ديانة المصريين القدماء تلك الديانة التي كَثُرَت فيها الطقوس والمهرجانات الدينية. ورأى بنو إسرائيل أيضاً كيفية كتابة المصريين القدماء للغتهم بالطريقة التصويرية أو الهيروغليفية. وكان الله عليماً بجميع هذه الأشياء وبأن إمكانيات بني إسرائيل كانت محدودة من ناحية التعبير عن الأمور الروحية, فلذلك نراه تعالى يعطيهم التعاليم المختصة بالإنجيل (أو البشارة الخلاصية التي تُعلّمنا عن خلاص الإنسان من الخطية والشر) بواسطة صور وطقوس دينية.

وكما أن الأطفال في كثير من البلدان يبدأون حياتهم المدرسية فيما يُسمّى بحديقة أة روضة الأطفال حيث تلعب الصور دوراً رئيسياً في التعليم, هكذا كانت أيام النظام القديم أياماً تحضيرية تَعلّم فيها بنو إسرائيل وسائر الذين انضموا إليهم من الأفراد – تَعَلّموا جميعاً مواضيع الديانة المقبولة لدى الله بواسطة طقوس ورموز دينية كانت ملائمة تماماً لإمكانياتهم الروحية والثقافية. وعلينا أن نتذكر بهذا الخصوص أن بني إسرائيل لم يُعطوا فقط نظاماً رمزياً وطقسياً بل أن الله تكلّم معهم بواسطة الأنبياء وأعطاهم تعاليم أخلاقية وروحية بطريقة مباشرة. لذلك لا يمكننا وصف نظام العهد القديم بأنه كان نظاماً رمزياً وطقسياً بشكل مطلق.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان يُقصد من النظام الكهنوتي وكل ما كان يتعلّق به أن يُركّز اهتمام الشعب على هذا الموضوع الهام: أي مجيء المسيح المنتظر والعمل الكفّاري والفدائي الذي كان سيقوم به. كان نظام العهد القديم المتعلّق بالذبائح يُعلّم شعب الله أنه هناك طريقة فعّالة لغفران الخطايا وللاقتراب من الله وعبادته عبادة مرضية. ولكن جميع هذه الطقوس والرموز زالت تماماً ونهائياً عندما جاء مُتممها السيد المسيح. وما كان يشاهده الآباء في أيا النظام القديم إنما كان يُرى من بُعد وبشكل رمزي, بينما نحن الذين نعيش في ظل النظام الجديد نرى أمور الكفّارة والخلاص قد صارت واضحة بشكل تام – إذ أن المسيح قد جاء وتمّمها فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من التاريخ. وليس ذلك فقط ب أضحت الحد الفاصل بين تاريخ العالم القديم والحديث إذ أن كل شيء يُؤرَّخ الآن فيما إذا تمّ قبل المسيح أو بعد المسيح. ولم يكن الكهنوت والطقوس الدينية لدى بني إسرائيل يُشكّل الأمور الجوهرية بل شكلها العابر. وقد أدّت عملها ووظيفتها بشكل جيد حتى قدوم ذلك الذي كانت ترمز إليه. فدَم الثيران والتيوس لم يكن له قوة ذاتية على إزالة الخطية, وذبائح تلك الحيوانات إنما كانت أمثلة للذبيحة الكاملة التي قدّمها السيد المسيح في ملء الزمن.

وكتب صاحب الرسالة إلى العبرانيين عن موضوعنا هذا وبوحي من الله: "وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة – فباسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد (أي الذي ليس من هذه الخليقة) وليس بدم تيوس وعجول, بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءاً أبدياً. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلةٍ مرشوشة على المُنَجَّسين يُقَدّس إلى طهارة الجسد, فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروحٍ أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي؟ (٩: ١١ – ١٤).

كان على الحيوان المستعمل في أيام العهد القديم (أي المعّد للذبيحة) أن يكون كاملاً بدون لطخة أو عيب. وقد قال الله بهذا الخصوص: "إذا قرّب إنسان منكم قرباناً للرب من البهائم فمن البقر والغنم تُقرّبون قرابينكم. إن كان قربانه محرقة من البقر فذَكراً صحيحاً يُقرّبه". (سفر اللاويين ١: ٢ و٣) وكان التشديد أيضاً على دم تلك الذبيحة: "لأن نفس الجسد هي في الدم, لأن الدم يُكفّر عن النفس". (لاويين ١٧: ١١). فكل إنسان كان يأتي بذبيحته معترفاً بذلك أنه يستحق الموت, ولكنه يطلب من الله بأن يرحمه برحمته وأن يقبل الذبيحة كبديل عنه. وكانت الذبائح عند بني إسرائيل تقدم يومياً على مدار السنة وكانت تُعلَّم بكل وضوح أنه ليس مغفرة بدون سفك دم, ولكنها كانت ترمز أيضاً إلى الذبيحة الطاهر والكاملة التي كان سيقدّمها المسيح المنتظر لدى قدومه إلى العالم. وهكذا نخلص إلى القول أن طقوس ورموز العهد القديم كانت تعليمية وأنها زالت تماماً عندما جاء الذي كانت تشير إليه فتم كل ما رتّبه الله بخصوص فداء الناس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني والعشرون: يوم الكفّارة في نظام العهد القديم

كان الله قد أمر شعبه في أيام موسى النبي بأن يُقدّموا الذبائح والقرابين عن خطاياهم وكان بنو إسرائيل يُقدّمون الذبائح في كل يوم من أيام السنة. ولكنه كان هناك يوم قد عيّنه الله ليكون يوم الكفّارة عندما كانت تُعمَل فيه ذبيحة لخطية عن الأمة بأسرها وهكذا كانت العقيدة الكتابية للكفّارة (تحت مظهرها الرمزي والطقسي) تظهر بكل جلاء. كان يُؤخذ تيسان من الماعز من مقتنيات بني إسرائيل وكانت تُلقى القرعة لمعرفة أي منهما يجب أن يُقدّم كذبيح. ولدى ذبح التيس كان يُحمل جزء من دمه إلى أهم مكان في بيت الله (أي إلى قدس الأقداس) فيُرشّ فوق غطاء تابوت العهد. وأما التيس الآخر فإنه لم يكن يُذبح ب كان رئيس الكهنة يضع يديه على رأسه ويعترف فوقه بخطايا الشعب وينقلها إليه رمزياً, ثم يُرسله بيد خادم إلى البرية أو لمكان منفرد حيث يتوه التيس. وكان الشعب يتعلّم أن موت التيس الأول كان يرمز إلى دفع العقاب المفروض على الخطية. وكان الحيوان بالفعل يصيبه ما كان الشعب قد استحقّه: أي الموت. وكان الشعب يتعلّم من مصير التيس الثاني وبصورة رمزية لأن خطاياهم قد حُمِلت بعيداً وأنها أُزيحت من نظرهم ومن حضرتهم ومن نظر وحضرة الله الساكن في وسطهم. وقد تمّت في هذين التيسين ذبيحة واحدة للخطية. وكان الاثنان ضروريين لأنه لم يكن من الممكن إظهار الأمرين الهامين في حيوان واحد: أولاً التكفير عن الخطية بواسطة الموت, وثانياً نسيان الخطية وطرحها خارج المحلة, ذاك الأمر الذي أشير إليه في التيس الذي كان يساق إلى البرية ليترك تائهاً فيها.

وهكذا كانت الخطية تزاح عن الجماعة بواسطة تلك الذبيحة, ومن ثم عامل الله الجماعة وكأنها بدون خطية – وكأن الخطية قد أزيحت بالفعل. ليس فقط كأنها قد أزيحت على أن لا تعود قط فيما بعد. هذا كان جوهر التعليم الرمزي: لقد تمت الكفّارة وقد كفر عن الخطية وصار الخاطئ في نظر الله باراً.

نَخلُصُ إذن إلى القول أن فكرة الذبيحة النيابية والكفّارية وبكلمة أخرى عقيدة البدَل بواسطة كفّارة الدم, هي منسوجة في نفس سُداة ولُحمة النسيج العقائدي لنظامي العهد القديم والجديد. وتظهر بصورة خاصة في سفر موسى الثالث والذي ندعوه بسفر أو كتاب اللاويين وفي أقسام أخرى من الكتاب المقدس حيث نتعلم عن وظيفة الكاهن لدى بني إسرائيل. وليس هناك أي تناقض بين أسفار الكتاب المقدس وإن كان الأنبياء قد أعطونا تحذيرات متكررة بأن مجرد ممارسة الطقوس بدون توبة قلبية لا يمكن أن يُفيد التقدمة أو مُقدّمها بأي شيء. وكان الكهنة (الذين كانوا بالحقيقة أمثلة فقط لرئيس الكهنة العظيم الذي كان مزمعاً بأن يأتي), كان يسمح لهم بأن يدخلوا المقدس بواسطة الدم. فتعلّم المؤمنون بأنه بواسطة ذبيحة نفس أخرى فقط كانوا هم ينالون النجاة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهناك هذه الظاهرة الهامة في ديانات الشعوب القديمة, إن كانت ديانات عابدي الأوثان أو ديانة بني إسرائيل – انتشرت عادة الذبائح بين جميع أهل الأديان وذلك أظهر شعور الإنسان بأن الخطية تُعرّضه لغضب الله وأن ذلك الغضب يُزاح فقط حينما يحدث تكفير بواسطة فدية نفس, إما نفس الإنسان أو نفس بديل شرعي عنه.

وهذا هو الوصف الذي يعطينا إياه كاتب الرسالة إلى العبرانيين بخصوص ذبائح العهد القديم: "ثم العهد الأول كان له أيضاً فرائض خدمة والقدس العالمي. لأنه نُصِبَ المسكن الأول الذي يقال له القدس الذي كان فيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة. ووراء الحجاب الثاني السكن الذي يقال له قدس الأقداس: فيه المبخرة من ذهب وتابوت العهد مغشّى من كل جهة بالذهب الذي فيه قسط من ذهب, فيه المَنّ وعصا هارون التي أفرخت ولوحا العهد. وفوقه كروبا المجد مظلّلين الغطاء. ثم إذ صارت هذه مهيأة هكذا, يدخل رئيس الكهنة فقط مرة في السنة, ليس بلا دم يقدّمه عن نفسه وعن جهالات الشعب, معلناً الروح القدس بهذا أن طريق الأقداس لم يُظهر بعد ما دام المسكن الأول له إقامة, الذي هو رمز للوقت الحاضر الذي فيه تُقدّم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذي يَخدُم. وهي قائمة بأطعمة وأشربة وغلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح.

"وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة, فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد, أي الذي ليس من هذه الخليقة, وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس, فوجد فداءً أبدياً. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين يُقدِّس إلى طهارة الجسد, فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب, يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي؟ ....

"فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التي في السماوات تُطهَّر بهذه وأما السماويات عينها فبذبائح أفضل من هذه. لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة, بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا. ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر (فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم) ولكنه الآن قد أُظهِر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه". (الرسالة إلى العبرانيين ٩: ١ – ١٤ و٢٣ - ٢٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث والعشرون: طقوس خيمة الاجتماع والهيكل) ١(

لقد بحثنا في درسينا السابقين عن طقوس ورموز نظام العهد القديم وعن يوم الكفّارة في تلك الأيام. ومع أننا نعيش في ظل نظام العهد الجديد إلا أنه يليق بنا أن نفهم تعاليم الوحي الإلهي المتعلّقة بالمؤمنين في أيام ما قبل المسيح لكي نفهم تماماً معنى الخلاص العظيم الذي أتمّه لنا الرب يسوع المسيح. وقد ذكرنا سابقاً أن المؤمنين في أيام النظام القديم كانوا يعيشون في أيام الرموز والطقوس الدينية التي كانت تشير إلى المسيح المنتظر وإلى عمله الخلاصي والفدائي الذي كان سيقوم به بموته على الصليب. وسنبدأ في هذا الفصل بدراسة لخيمة الاجتماع التي كان الله قد أمر بها والتي كان محلّها الهيكل المقدس في مدينة القدس في أيام الملك العظيم سليمان بن داود.

نلاحظ في تركيب وطقوس خيمة الاجتماع وجود نظام رمزي فائق للغاية. وكانت غاية هذه الخيمة إعطاء الشعب فهماً واضحاً للتعاليم المختصّة بحقائق الفداء. نرى أهمية هذا الموضوع بالنسبة لله تعلى وللمؤمنين في أيام النظام القديم في أن نحو ثلث سفر الخروج (وهو الكتاب الثاني من التوراة) وكل سفر اللاويين (وهو الكتاب الثالث من التوراة) وجزء مهمّ من سفر العدد (وهو الكتاب الرابع من التوراة) كل ما تقدّم كان مكرّساً لأمور خيمة الاجتماع والطقوس الدينية المتعلّقة بها. وكان القصد من هذه التعاليم أن يتعلم شعب الله في تلك الأيام بأن الله تعالى يرغب في أن يسكن مع شعبه, وكيفية الحصول على هذا الامتياز العظيم أي التقرُّب منه تعالى. وكما لاحظنا في فصل سابق كانت هذه الطريقة للتعليم مشابهة لتلك الطريقة التي اعتاد عليها بنو إسرائيل أثناء إقامتهم الطويلة في أرض مصر.

وعندما نُصبت خيمة الاجتماع كان مسكن الله في المكان المدعو بقس الأقداس, بينما كان الإنسان يبقى خارج الساحة المقدّسة والتي كانت تحيط بخيمة الاجتماع. وكان الطريق أي طريق الاقتراب من الله واضحاً خطوة فخطوة من الباب الخارجي إلى المقدس الأعظم إلى تابوت العهد والغطاء ونور الحضرة الإلهية أي الحضور المنظور لله تعالى. وهكذا تُرينا خيمة الاجتماع والطقوس الدينية التي كانت تجري فيها, كيف يمكن لإله قدّوس أن يسكن مع الإنسان الخاطئ كيف يمكن للإنسان الخاطئ أن يأتي إلى حضرة الله القدّوس. وكانت خيمة الاجتماع هذه منصوبة على بعد كيلومتر واحد خارج المحلّة التي كان يُقيم فيها بنو إسرائيل. فنرى بشكلٍ رمزي أن الله كان يدعو الشعب إليه وكل من يودُّ الاقتراب من الله عليه الخروج من المحلّة إلى خيمة الاجتماع. وهذا كان يرمز إلى أن الله تعالى هو في المسيح وعندما نقترب منه تعالى يتوجّب علينا أن نخرج من "العالم" وأن نُلقي جانباً طُرق العالم وتصرّفاته الخاطئة لنذهب إلى الله الذي يدعونا في المسيح. وفي هذا العهد أو النظام الجديد المسيح هو "خيمة الاجتماع" لنا نحن المؤمنين, وكما كتب الرسول يوحنا في الإنجيل: "والكلمة – أي السيد المسيح صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من الأب مملوءاً نعمة وحقّاً". (١: ١٤) وفي اللغة اليونانية (وهي لغة جميع أسفار العهد الجديد) نلاحظ أن الكلمة التي تُعرّبها بـ"حل", هي حسب معناها الأصلي, نصب خيمته. وهذا يُشير بشكل قوي إلى أن الله في هذه الحقبة من التاريخ (أي في أيام العهد الجديد) حلَّ بيننا أو سكن وسط عالمنا بواسطة السيد المسيح متمّماً جميع نبوات الكتاب في العهد القديم.

وتكلّم مرة السيد المسيح مشيراً إلى جسده قائلاً: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه". (الإنجيل حسب يوحنا ٢: ١٩) فجسد المسيح هو مسكن الله. وبطريقة مشابهة نوعاً ما سكن الله في خيمة الاجتماع أولاً وفيما بعد سكن هيكل مدينة القدس ذلك الهيكل الذي بناه سليمان الحكيم. وكان الله يُعلّم شعبه في أيام النظام القديم بواسطة خيمة الاجتماع والطقوس الدينية التي كانت تجري بها, كان الجميع يتعلّمون من الله (الصغار والكبار, المُتعلّمين وغير المُتعلمين) الحقائق الروحية الهامة عن موضوع الخلاص والقبول لدى الحضرة الإلهية.

وهذه بعض الأمور الهامة عن شكل وأبعاد وقيمة خيمة الاجتماع: كانت هذه الخيمة المقدسة صغيرة نسبياً إذ بلغ طولها نحو ١٣ ١/٢ متراً وعرضها ٤ ١/٢ أمتار وارتفاعها ٤ ١/٢ أمتار. وكانت نفيسة للغاية إذ بلغت قيمتها نحو مليون جنيه أو دينار. وتمّ تجهيز خيمة الاجتماع بواسطة تبرعات الشعب الذي أعطى بهكذا سخاء حتى أن موسى النبي اضطرّ أن يقول للشعب: "كُفُّوا"!....

أُحيطت خيمة الاجتماع بسياج بلغ طوله ٤٥ متراً وعرضه ٢٢ ١/٢ متراً. وكان هذا السياج يتألف من عواميد وستائر جميلة. وهكذا أظهر الله أن مسكنه كان منفصلاً ومقدساً ومنعزلاً عن بقية العالم وعن الخطية. وكان المدخل الوحيد لهذه الساحة الخارجية في الشرق وكان يُسدَل عليه ستار جميل للغاية وهو أزرق وقرمزي وأرجواني, وهذا كان يرمز إلى السماوي والأرضي والملوكي. وبشكل خاص كان الله يسكن ضمن أو وسط خيمة الاجتماع في قدس الأقداس وكان يرمز إلى حضور الله بواسطة ما سُمِّي بعد ذلك بنور السكينة أو الحضور الإلهي.

وعندما نمرُّ بالباب المثلّث الألوان إلى الساحة الخارجية نجد مذبحاً مربّعاً أبعاده ٧ ١/٢ أقدام وارتفاعه ٤ ١/٢ أقدام وهو فارغ مصنوع من خشب مطلي بالنحاس. وفي كل زاوية نتوء أو قرن لربط الحيوانات المُعَدَّة للذبيحة. وكان هذا المذبح أهمّ وأكبر شيء في الساحة الخارجية المحيطة بخيمة الاجتماع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع والعشرون: طقوس خيمة الاجتماع والهيكل) ٢(

لم يكن بوسع الكاهن في أيام النظام القديم الدخول إلى خيمة الاجتماع ما لم يكن قد وضع ذبيحة على المذبح, كما أنه لم يكن بوسع رئيس الكهنة الدخول إلى قدس الأقداس ما لم يكن هو بدوره قد وضع ذبيحة على المذبح. هذا علّم بني إسرائيل بصورة قوية ومنذ فجر تاريخهم أنه لا يمكن لخاطئ الاقتراب من الله تعالى بدون ذبيحة مُكَفِّرة. وكانت جميع امتيازات خيمة الاجتماع مُغلقة حتى تكون الذبيحة قد قُدّمت. فتعلّم الجميع أنه لا يجوز للخاطئ بأن يذوق الخبز السماوي أو أن ينظر إلى النور السماوي أو أن يُصلّي صلاةً مقبولة إن لم يكن قد تاب توبة حقيقية وقَبِلَ الكفّارة التي كانت ترمز إلى الكفّارة الحقيقية ألا وهي عمل يسوع المسيح الفدائي على الصليب. فخيمة الاجتماع بواسطة طقوسها وخاصة بواسطة التشديد على أهمية الذبيحة إنما كانت تشير إلى يسوع المسيح وصليبه على الجلجثة. فهذه هي العقيدة التي نتعلّمها من أسفار العهد الجديد: يَقبَلُنا الله فقط نظراً لعمل المسيح الكفّاري على الصليب.

وكانت النار على المذبح في الساحة الخارجية قد أُوقدت أولاً من السماء ولم يُسمح قط لهذه النار بأن تُطفأ. وعندما كان بنو إسرائيل يتنقّلون من مكان إلى آخر كانت هذه النار تُحمَل في إناء خاص يرمز إلى دوام الكفّارة. وكان هناك دوران غير منقطع بالنسبة إلى الذبائح: فذبيحة الصباح كانت تتبعها ذبيحة المساء وذبيحة المساء كانت تتلوها ذبيحة الصباح. كان المذبح إذن ملتقى الشعب مع الله. ومهما كانت حالة الإنسان الروحية فإنه إن تاب توبة حقيقية كان الله يُرحب به وكان باستطاعة التائب أن يُقدّم تقدمته. وقد أصبح هذا المبدأ أكثر وضوحاً في العهد الجديد في قول السيد المسيح: "كل من يأتي إليّ لا أُخرجه خارجاً". (الإنجيل حسب يوحنا ٦: ٣٧).

أما بخصوص الحيوان المُستعمل في الذبيحة فإنه كان حيواناً داجناً ولم يكن قط حيواناً برّياً, وكان الحيوان كاملاً وبدون عيب. كان الحيوان يُعَدُّ بديلاً عن الإنسان مُقدّمه. وكل من يُقدّم الحيوان للذبيحة يضع يديه على رأسه ويعترف بخطيته فوقه – وهذا العمل الرمزي أشار إلى أن الإثم والجرم قد نُقلا من الإنسان إلى الحيوان. ثم كان الحيوان يُذبح ويُرشّ دمه. هذا علّم بصورة حسّية وغير قابلة للتأويل أن طريق الشركة مع الله كانت ممكنة بواسطة موت البديل. كانت الذبيحة تشهد على شناعة وشر الخطية ونتائجها المميتة وإلى الحاجة المُطلقة إلى كفّارة للاقتراب من الله. وكانت الذبيحة في نفس الوقت تشهد أيضاً بأن الله قد جهّز كفّارة – أي طريقته الفعّالة للرجوع إليه والحصول على غفرانه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا فيما يتعلّق بالمذبح الكائن في الساحة الخارجية المحيطة بخيمة الاجتماع, ذلك المذبح الذي كان بالقرب من الباب اشرقي وهو الباب الوحيد للدخول إلى تلك الساحة المقدّسة.

في منتصف الطريق بين المذبح وخيمة الاجتماع نجد الحوض. كان الحوض يُملأ بالماء ليُستعمل من قبل الكهنة الذين كانوا يغسلون أيديهم وأقدامهم قبل أن يدخلوا إلى خيمة الاجتماع ليقوموا بإزاحة الخطية والعفو عنها, أما الحوض فإنه كان يرمز إلى التقديس أو الحصول على القداسة "التي بونها لن يرى أحد الرب". (الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ١٤) وكما ورد في المزمور الـ ٢٤: ٣ و٤: "من يصعد إلى جبل الرب ومن يقوم في موضع قدسه؟ الطاهر اليدين والنقي القلب".

نأتي الآن إلى وصف خيمة الاجتماع ذاتها. كانت عبارة عن خيمة ضمن خيام. أولاً كان هناك الغطاء الخارجي وهو من جلد قوي جداً لوقاية الخيمة المقدّسة من المطر. ثانياً كان هناك الغطاء المصنوع من شعر الماعز. ثالثاً كان هناك غطاء مصنوع من جلد كبش مصبوغ بلون أحمر. وتحت هذا الغطاء الجميل والأخير كانت خيمة الاجتماع وهي مقسومة إلى قسمين: أولاً القُدّس, وثانياً: قُدّس الأقداس. كان السقف أزرق اللون, أما الجدران فإنها كانت بلون أرجواني وقرمزي. إذ ندخل خيمة الاجتماع نجد ستاراً واحداً وهو يرمز إلى السيد المسيح الذي هو الباب.

ونجد داخل خيمة الاجتماع ثلاثة أصناف من الأثاث: إلى اليسار من الباب هناك المنارة الذهبية بشُعُبِها السبعة. وكانت هذه المصدر الوحيد للنور داخل الخيمة غذ لم يكن لهذه الأخيرة نوافذ. وكانت هذه المنارة ترمز إلى السيد المسيح الذي هو نور العالم: النور الوحيد في هذا العالم المظلم. وإلى يمين الباب كان خبز الحضور على مائدة من ذهب حيث كان إثنا عشر رغيفاً يُمثّل كل منها سبط من أسباط بني إسرائيل. والخبز كان يرمز إلى الشركة الروحية التي ندخل فيها ونحن نعبد الله. فكما أن الإنسان الذي يدخل بيت جاره ويأكل معه الخبز يدخل في شركة مع جاره, هكذا أيضاً الخبز الذي أشار إلى السيد المسيح وهو الخبز السماوي الذي جاء من السماء والذي قال: "أنا هو خبز الحياة".

ندخل بواسطة السيد المسيح في شركة مقدّسة مع الله وعبادتنا له تكون مقبولة لأنها مبنية على عمل السيد له المجد الكفّاري, ذلك العمل الذي كانت ترمز إليه جميع طقوس خيمة الاجتماع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس والعشرون: طقوس خيمة الاجتماع والهيكل) ٣(

ذكرنا حتى الآن كُلاً من المنارة الذهبية ومائدة خبز الحضور اللتين كانتا في خيمة الاجتماع. نأتي الآن إلى ذكر مذبح البخور الذي كان في منتصف الطريق بين المنارة الذهبية ومائدة خبز الحضور.

كان مذبح البخور هذا عبارة عن صندوق مغطّى بالذهب ومصنوع من خشب السّنط, طوله ذراع وعرضه ذراع وارتفاعه ذراعان. وفوق المذبح هذا كان هناك طأس من ذهب يحتوي على بخور متألّف من أربعة عقاقير عطرة التي كانت تعطي رائحة لذيذة للغاية لدى حرقها. وهذا كان رمزاً لاستحقاقات السيد المسيح التي تصعد عليها صلواتنا والتي يقبلها الله إكراماً لعمل المسيح الخلاصي والكفّاري.

وكان الله هو الذي قد أعطى أولاً التركيب الخاص للمواد المُشكّلة للبخور المقدّس وكل محاولة من قِبَل أفراد لتقليد هذا البخور كانت تُعَدّ جريمة كبرى إلى درجة أنها تستحق الإعدام. وهذا علّم الشعب أنه لاشيء سوى استحقاقات المسيح تُجدي نفعاً لخلاصنا وأننا إذ كُنّا نتّكل على أعمالنا الصالحة أو على أي شيء آخر ما عدا دم المسيح وبرّه, فذلك هو مكروه لدى الله ويُسبب موت النفس.

نأتي الآن إلى وصف الغرفة الأخيرة في خيمة الاجتماع وهي قدس الأقداس. كان هذا المكان مسكن الله بين الناس. كان مُكعّب الشكل (وذلك يرمز إلى الكمال) وأبعاده نحو خمسة أمتار. وهذا ما يطابق وصف السماء الرمزي المعطى لنا في آخر سفر من أسفار الكتاب وهو سفر الرؤيا. ولم يكن لهذه الغرفة نوافذ ولا شموع ولا أي نور ومع ذلك فقد كان قدس الأقداس المكان الوحيد في العالم حيث لم تكن فيه أية ظلمة. نعم كان مجد الله يضيء على الدوام من فوق الغطاء. ونجد في سفر الرؤيا هذا الوصف للسماء الذي يُذكّرنا بقدس الأقداس:

"والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها, لأن مجد الله قد أنارها والخروف (أي السيد المسيح الذي صُلِبَ ومات كذبيحة عن الخطايا) سِراجُها. لأن ليلاً لا يكون هناك". (سفر الرؤيا ٢١: ٢٣ و٢٥).

ولم يكن يُسمح لأي إنسان بالدخول إلى قدس الأقداس ما عدا رئيس الكهنة, وذلك مرة واحدة في السنة فقط. ودخول رئيس الكهنة لم يتمّ إلا بعد القيام بخدمة دينية خشوعية للغاية في يوم الكفّارة العظيم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي قدس الأقداس كان يوجد تابوت العهد كالقطعة الوحيدة من الأثاث. وهذا كان صندوقاً صغيراً مغطّى بالذهب طوله نحو ١١٣٢ سم وعرضه ٦٧ سم وارتفاعه ٦٧ سم. وكان ضمن تابوت العهد لوحا الوصايا العشر اللذان استلمهما موسى النبي من الله (أي خلاصة الشريعة الإلهية التي تُكيّف حياة كل إنسان والتي تُعطينا معرفة صحيحة لحالتنا الروحية). ولم يكن لتابوت العهد غطاء مُعلّق به, بل كان فوق تابوت العهد غطاء مصنوع من ذهب خالص متين طوله ١١٢ سم وعرضه ٦٧ سم.

وورد في الكتاب: "وصنع كروبين من ذهب صنعة الخراطة صنعها على طرفي الغطاء. كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً واحداً على الطرف من هناك ... وكان الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظلّلين بأجنحتهما فوق الغطاء ووجههما كل واحد إلى الآخر, نحو الغطاء كان وجها الكروبين". (سفر الخروج ٣٧: ٧ – ٩).

وكان الكروبان يرمزان إلى الحضور الإلهي, والغطاء كان الغطاء الوحيد في خيمة الاجتماع وكان مجلس الله وعرشه. وكان الغطاء فوق الشريعة وهذا يرمز إلى أن ملكوت الله مؤسَس على القداسة. كان رئيس الكهنة يأخذ في يوم الكفّارة الدم من الذبيحة ويرشّه سبع مرات على الغطاء وهكذا فإنه كان يُغطي أو يمحو الشريعة وبذلك يعمل كفّارة عن نفسه أولاً ثم عن الشعب.

وقد كتب أحد علماء اللاهوت الأتقياء قائلاً عن موضوعنا: "عندما كان الله ينظر إلى شريعته التي كان يرتكز عليها عرشه كانت تلك الشريعة تتطلب إجراء العقاب لكل معصية ارتكبها الإنسان. ولكن عين الله تعالى كانت تقع أولاً على الغطاء الحامل لدم الذبيحة, وهكذا كانت الخطايا تُغطّى وكان الله يتصالح مع الخاطئ".

وهذا الطقس الديني المتعلّق بخيمة الاجتماع أولاً ثم بالهيكل في مدينة القدس, علّم شعب الله في سائر العصور والأزمان وشتى الأمكنة بأننا نستطيع الآقتراب من الله لا بأعمالنا الصالحة وبحفظ الشريعة بشكل تام (وهذا أمر مستحيل لنا نحن الخطاة), بل بنعمة الله فقط, تلك النعمة المجانية التي تغفر كل تَعَدٍّ على الشريعة الإلهية. ومع أننا لا نستطيع الاقتراب من الله بواسطة أي بر أو صلاح ذاتي, إلا أنه يتوجب علينا أن نجوع ونعطش من أجل البر, أي أن تتوق أنفسنا إلى البر الذي يعطينا إياه الله.

ولو كان لوحا الشريعة الإلهية قد وضعا عند عتبة الخيمة عوضاً عن قدس الأقداس, لكان من الممكن للإنسان التصوّر بأنه يقدر أن يحظى بالاقتراب إلى الله بواسطة حفظ الشريعة. لكن الترتيب الإلهي الرمزي لم يعلّمنا بأن نحفظ الشريعة وبعد ذلك يسمح لنا بالدخول إلى قدس الأقداس. بل ترتيب الله هو: ادخل أولاً فيعطيك الله نعمة وقوة لكي تحفظ الشريعة وتُكيّف حياتك حسب المشيئة الإلهية المقدّسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتعليم العهد الجديد هو واضح للغاية: "فإنكم بالنعمة مُخَلَّصون, بواسطة الإيمان, وهذا ليس منكم, بل هو عطية الله. وليس هو من أعمال, كي لا يفتخر أحد. فإننا نحن صُنعه, مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد أعدّها الله من قبل لكي نسلك فيها". (الرسالة إلى أفسس ٢: ٨ – ١٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس والعشرون: طقوس خيمة الاجتماع والهيكل) ٤(

كانت إذن خيمة الاجتماع مقسوم إلى قسمين: القسم الأول يدعى بالقُدس, والقسم الثاني يدعى بقُدس الأقداس. ولم يكن يجوز لأحد ما دخول هذا القسم الأخير إلا رئيس الكهنة والذي كان يدخله مرة واحدة في السنة وفي يوم الكفّارة وبعد أن يكون قد قدّم ذبيحة عن نفسه وعن الشعب بأسره. أما الموضع الأول المُسمّى بالقدس فإن الكاهن كان يقوم بالخدمة فيه وكان يُقد البخور الكائن على مذبح البخور والذي كان يرمز إلى شفاعة السيد المسيح وإلى أن صلوات المؤمنين مقبولة لدى الله نظراً لعمل المسيح الكفّاري على الصليب.

ومن المهم جداً أن نرى أن هذه الأمور الطقسية والرمزية كانت تُشير إلى السيد المسيح الذي كان سيأتي في اليوم المُعَدّ له من الله للقيام بالتكفير عن خطايا الناس وذلك بواسطة ذبيحة جسده. تلك الذبيح التي كانت ستُقدّم خارج المحلّة, أي خارج مدينة القدس, على أكمة الجلجثة (أي الجمجمة).

بين القدس وقدس الأقداس كان هناك ستار فاصل أو حجاب, وقد قال الله بهذا الصدد لعبده موسى: "وتصنع حجاباً من أسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم, صنعة حائك حاذق يصنعه بكروبيم. وتجعله على أربعة أعمدة من سنط مغشّاة بذهب, رززها من ذهب, على أربعة قواعد من فضة. وتجعل الحجاب تحت الأشظة, وتُدخل إلى هناك داخل الحجاب تابوت الشهادة, فيفصل لكم الحجاب بين القدس وقدس الأقداس". (خروج ٢٦: ٣١ – ٣٣).

وكان هذا الحجاب يمثّل بشكل رمزي الطبيعة البشرية للسيد المسيح تلك الطبيعة التي ازدانت بأفخر العطايا والنعم والتي بواسطتها فتح لنا الطريق إلى السماء. وقد كتب بهذا الصدد صاحب الرسالة إلى العبرانيين قائلاً: "فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع, طريقاً كرّسه حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده, وكاهن عظيم على بيت الله, لنتقدّم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقيّ. لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين". (١٠: ١٩ – ٢٣).

وعندما مات السيد المسيح على الصليب "وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل" كما يخبرنا الرسول متى في الإنجيل ودلّ ذلك على أن الله كان مزمعاً بأن يترك هيكله الأرضي وأن وقت العبادة الرمزية والطقسية كان قد انتهى لأن المسيح كان قد أتم عمله الخلاصي والكفاري بموته على الصليب فاتحاً للجميع الطريق إلى العبادة الحقيقية التي تتم في أيام العهد الجديد بالروح والحق.

وعلينا أيضاً ونحن نقوم بدراسة خيمة الاجتماع أن نلاحظ أمراً هاماً جداً وهو أن الأثاث المقدس كان مرتباً بشكل صليب. فقد كان المذبح المقدس القاعدة, والحوض الساق, ومائدة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خبز الحضور الذراع اليمنى, والمنارة الذراع اليسرى, ومذبح البخور هو الوسط حيث يلتقي الكتفان والتابوت هو الرأس. وكان هذا الترتيب الإلهي مهيأً بالحجاب حتى ساعة موت السيد المسيح على الصليب. وإذ ذاك انشقّ الحجاب لا بيد بشرية, بل بيد الله نفسه, وهكذا صار قدس الأقداس مفتوحاً. وحينئذ إذ نقف عند المذبح النحاسي وننظر نحو تابوت العهد يظهر لنا شكل الصليب بكل وضوح وجلاء.

فلا بد لنا من القول ونحن قد انتهينا من هذا البحث أنّ تركيب وطقوس خيمة الاجتماع مثلت الإنجيل بطريقة تصورية ورمزية, مثّل المذبح النحاسي الكائن في الساحة الخارجية الجلجثة (وهو المكان الذي صُلِب فيه السيد المسيح), وكان هذا المذبح في المدخل تماماً وكان دم الذبيحة يُرش على كل الأشياء حتى الغطاء الكائن في قدس الأقداس وإذ كان العابد يجتاز هذا الممر العجيب فإنه كان يشاهد اسم السيد المسيح مطبوعاً بشكل رمزي على كل شيء, ولقد لقن الشعب هذا الدرس العظيم من أيام موسى النبي حتى أيام السيد المسيح.
ومع أنه له المجد كان يعلم أن هذه الطقوس كانت وقتية ورمزية وأنها كانت على وشك بأن تزول لدى تتميمه لعمله الخلاصي والكفاري, إلا أنه منحها كل إطاعة أثناء حياته على الأرض وهكذا فإنه أظهر تكاتفه وتضامنه مع شعب الله ورغبته في حفظ جميع الأمور المتعلقة بالشريعة حفظاً تاماً وكاملاً.

ولكن طقوس ومراسيم خيمة الاجتماع والهيكل كانت مثل نور القمر الذي يضيء في الليل. فكما أن القمر لا يضيء من ذاته بل يعكس نور الشمس على الأرض, هكذا أيضاً مراسيم وطقوس العهد أو النظام القديم. لم يكن لتلك الطقوس والمراسيم قيمة ذاتية بل رمزية فقط. وقد استمدت قيمتها وفاعليتها من يسوع المسيح الذي يدعى في اللغة الكتابية بشمس البِر. وإذ ظهر سيدنا المسيح وأنجز عمله الكفّاري حسب مشيئة الله القدوس, فإن جميع الرموز والطقوس اليهودية ولّت وزالت أزهار النبات لدى ظهور الثمر, أو كما يختفي نور القمر والنجوم عندما تشرق الشمس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع والعشرون: السيد المسيح أتمّ طقوس العهد القديم) ١(

لقد انتهينا من بحثنا في تعاليم طقوس ورموز خيمة الاجتماع التي كان الله قد أمر بها في أيام موسى النبي والتي حلّ محلّها هيكل القدس في أيام سليمان الحكيم.

ومن المهم أن نذكر أننا نحن الذين نعيش في ظل النظام الجديد لا يمكننا مطلقاً تجاهل الحقيقة العظمى ألا وهي أنّ المسيح قد جاء وأنه قد أتمّ جميع نبوّات العهد القديم والتي لها علاقة حميمة بخلاصنا من الخطية والشيطان. فعندما نُلقي نظرة على طقوس العهد القديم وعى العبادة التي كانت مرتكزة على خيمة الاجتماع ثم الهيكل المقدّس, فإننا نرى بكل وضوح ونظراً لنور الوحي الإلهي الكائن في أسفار العهد الجديد, أنّ السيد المسيح قد أتمّ وأنجز جميع طقوس العهد القديم. والبرهان على هذا الأمر ساطع للغاية لا يمكن إنكاره بدون أن ينكر الإنسان جميع تعاليم الكتاب وسلطة الوحي الإلهي (أي سلطة الله وهو صاحب الوحي).

يقدم لنا السيد المسيح ويُرمز إليه في العهد القديم كذبيحتنا وجميع القديسين (أي المؤمنين) في أيام نظام العهد القديم إنما كانوا يتطلعون إلى المستقبل ويتوقعون قدوم الذبيحة الكاملة التي كان سيقوم بها المسيح المنتظر. بينما نحن الذين سمح لنا الله بأن نولد في أيام نظام العهد الجديد ننظر إلى الماضي ونقول: لقد جاء المسيح المنتظر وأنجز العمل الخلاصي الذي أسنده إليه الله تعالى اسمه. نحن لا نستطيع أن نفهم أي شيء عن عمل السيد المسيح الخلاصي إن لم نكن قد تلقنّا دروس العبادة الطقسية والرمزية التي سادت أيام العهد القديم. وفي نفس الوقت يمكننا القول: بدون المسيح المنتظر والعمل الخلاصي الذي كان سيقوم به, لا نستطيع فهم معنى وغاية العبادة التي سادت لدى بني إسرائيل.

وقد كتب هذا الموضوع أحد علماء الكلمة الإلهية قائلاً : "إن نظام وقانون الجاذبية كان ساري المفعول قبل أن يُكتشف من قبل الإنسان وهكذا أيضاً الكفّارة التي أتمّها المخلص المسيح فإنها كانت تشرق بنورها على الأجيال المتعاقبة حتى يمكننا القول أن أثر دم الذبيحة التي قدمها المسيح على الجلجثة ابتدأ بالظهور خارج أبواب جنة عدن (أي حالما سقط الإنسان في الخطية). ويمكننا اقتفاء أثر دم المسيح بدون خطأ حتى الصليب الذي عُلّقَ عليه المُخلّص. وكما ورد في الكتاب: "ولكنه (أي السيد المسيح الموعود به في الكتب النبوية) الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه". (الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٦).

ومن المهم جداً أن نذكر أيضاً أن المسيح كان في عملية الكفّارة الذبيحة والكاهن مُقدّم الذبيحة. لم يكن لدينا نحن بني البشر أي شيء لنُقدّمه فنحن جميعاً تحت سلطة الإثم والدينونة , إننا عاجزون وليس لدينا رجاء في أنفسنا. فما حدث إذن صار بأمر الله وحسب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تدبيره العجيب للخلاص. وقد ورد في الكتاب: "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المُعيّن لأجل الفُجّار". وورد أيضاً في الكتاب: "لأنه وإن كنّا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه, فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلُص بحياته". (الرسالة إلى رومية ٥: ٦ و١٠).

وقد قلنا بأن السيد المسيح هو كاهننا وبالأصح أنه رئيس كهنتنا العظيم. وحسب تعليم الوحي: الكاهن هو الذي يُمثّل الإنسان أمام عرش الله. الكاهن هو الذي يقوم بتقديم ذبيحة لله عن الإنسان وعلى أساس هذه الذبيحة كان يقدر أن يتشفّع بالإنسان. أما النبي, حسب تعليم الوحي الإلهي, فإنه ممثل الله لدى الإنسان. النبي هو المتكلم عن الله للإنسان, ولذلك دُعي موسى مثلاً بكليم الله. وعندما ننظر إلى حياة المسيح وإلى الوظائف التي مارسها له المجد فإننا نقول أنه لم يكن فقط رئيس كهنتنا بل أنه مارس أيضاً وظيفة النبي ووظيفة المَلِك. وكان هذا الترتيب بخصوص السيد المسيح ضرورياً بالنسبة إلينا نحن الخطاة. فالإنسان الخاطئ لا يقدر أن يأتي إلى حضرة الله, ولذلك عيّن الله الكهنة ورؤساء الكهنة في أيام نظام العهد القديم إلى وقت مجيء الكاهن الحقيقي أي السيد المسيح. ولذلك نقول أن كهنة بني إسرائيل لم يكونوا كهنة حقيقيين بل كانوا رموزاً وظلالاً للذي كان مزمعاً بأن يأتي من الله. فالسيد المسيح وحده كان يتمتع بالمؤهلات التي تُتطلّب من الكاهن الحقيقي: أي أنه له المجد كان الوحيد الذي في مقدوره التوسّط بين الله والإنسان. ولذلك فإنه كما جاء وأنجز عمله الكفّاري والخلاصي على الصليب فإنه أبطل الكهنوت اللاّوي. (وهذا الاسم يُنسب إلى لاوي بن يعقوب والذي انحدر منه سائر الكهنة وخُدّام العبادة الإلهية في أيام النظام القديم).

فبقدوم السيد المسيح وبإنجازه لعمله الكفّاري أُبطِل الكهنوت اللاّوي مع ذبائحه وطقوسه وأُلغي إلى الأبد. إذ أن السيد المسيح قد جاء وقدّم جسده كذبيحة مقدّسة متمّماً بذلك جميع نبوّات العهد القديم ولم يعد هناك لزوم لخدمة الكهنوت اللاّوي.

وهكذا عندما ننظر إلى تعاليم الكتاب في أسفار العهد القديم من وجهة نظر السيد المسيح وتتميمه للعمل الخلاصي الذي قام به فإننا نفهم تماماً معنى جميع هذه الطقوس الدينية التي عاش ضمنها بنو إسرائيل. ومع كثرة وتعداد هذه الطقوس فإنها اشتركت جميعها في تلقين الكبار والصغار من شعب الله بأن الله قد أعدّ بنفسه طريقة فعّالة للخلاص, وأنه كان سيرسل كاهناً عظيماً وذبيحة مقدّسة للقيام بمهمّة التكفير عن خطايا الناس.

وبما أننا نعيش في أيام التتميم والتكميل فإننا لا نكتفي بالرموز أو الأشباح, بل نفرح ونتهلّل لأن المسيح يسوع قد أتمّ كل شيء يتعلّق بخلاصنا وأنه فتح لنا الباب لندخل منه إلى السماء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأنه من الآن يجوز لنا, بل من امتيازنا أن نتقدّم من اله مباشرة بدون وساطة أي بشري, ومُتّكلين فقط على وساطة رئيس كهنتنا العظيم يسوع المسيح.

الفصل الثامن والعشرون: السيد المسيح أتمّ طقوس العهد القديم) ٢(

لقد وصلنا إلى القول بأن مجيء السيد المسيح إلى العالم وتتميمه للعمل الكفّاري الذي أسنده إليه الله الآب قد جعل رموز وطقوس نظام العهد القديم غير ضرورية. فكما أننا لا نحتاج إلى نور القمر والنجوم لدى بزوغ نور الشمس, هكذا أيضاً نقول: لسنا بعد بحاجة إلى تلك الطقوس التي كانت سارية المفعول في أيام العهد القديم. فقد جاء المسيح وقام بكل شيء كانت ترمز إليه تلك الطقوس. وهذا الذي يدعونا إلى تسمية الأيام التي ابتدأت بقدوم المسيح بأيام نظام العهد الجديد مُظهرين اختلافها عن أيام ما قبل المسيح: أيام العهد القديم.

وبما أن هذا التعليم هو هام وجذري في تطبيقه لابد لنا من اللجوء إلى الوحي الإلهي ونحن نتكلم عن هذا الموضوع لِئلا نظهر وكأننا قد ابتدعنا المبادئ التي تكلّمنا عنها في درسنا السابق. وهناك سفر خاص في الكتاب يتكلم بصورة كبيرة عن موضوعنا هذا وسنستقي منه بعض الشواهد الكتابية. يُعلِّم الكتاب بكل وضوح أن المسيح يسوع كان يمارس وظيفة كاهن عظيم, فقد ورد ما يلي في الرسالة إلى العبرانيين: "وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد, أي الذي ليس من هذه الخليقة. وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس, فوجد فداءً أبدياً". (٩: ١١ و١٢) "ومن ثم كان ينبغي أن يشبه أخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله, حتى يُكفّر خطايا الشعب, لأنه فيما هو قد تألم مجرّباً, يقدر أن يُعين المجربين". (٢: ١٧ و١٨).

"لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس في ما لله لكي يُقدّم قرابين وذبائح عن الخطايا, قادراً أن يترفّق بالجُهَّال والضَّالين إذ هو أيضاً مُحاط بالضعف. ولهذا الضعف يلتزم أنه كما يُقدَّم عن الخطايا لأجل الشعب, هكذا أيضاً لأجل نفسه, ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه, بل المدعو من الله, كما هارون أيضاً. كذلك المسيح أيضاً, لم يُمجِّد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له: أنت ابني أنا اليوم ولدتك, كما يقول أيضاً في موضع آخر: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. الذي في أيام جسده إذ قَدَّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرّعات للقادر أن يخلصه من الموت وسُمع له من أجل تقواه. ومع كونه ابناً, فقد تعلّم الطاعة مما تألّم به, وإذ كُمِل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي, مدعواً من الله, رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق". (٥: ١- ١٠).

وقد أشار أيضاً كاتب الرسالة للعبرانيين إلى تفوّق المسيح على جميع كهنة النظام القديم, فقال مشيراً إلى السيد له المجد: "وأما هذا (أي السيد المسيح) فمن أجل أن يبقى إلى الأبد,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

له كهنوت لا يزول. فمن ثم يقدر أن يُخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدّمون به إلى الله, إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس, بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات, الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه, ثم عن خطايا الشعب, لأنه إذ فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه. فإن الناموس (أي الشريعة الموسوية التي نظّمت العبادة الطقسية والرمزية في أيام موسى النبي) فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة, وأما كلمة القسم (أي كلمة الله الآب التي تفوه بها بخصوص إقامة المسيح كاهناً لا على رتبة بني هارون, بل على رتبة ملكي صادق الذي كان ملك وكاهن القدس.) وأما كلمة القسم التي بعد الناموس, فتُقيم ابناً مُكمّلاً إلى الأبد". (٧: ٢٤ – ٢٨).

وأما كون السيد المسيح الذبيحة المُعدَّة من قبل الله, فإنه يُعلَّم بكل وضوح في سائر أسفار الكتاب المقدس. ونقتبس هذه الآيات الهامة: "لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد, أشباه الحقيقية, بل إلى السماء عينها, ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا ولا ليقدّم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر (فإذ ذاك كانيجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم) ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه". (الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٤ - ٢٨).

"لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبِح لأجلنا". (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٥: ٧) وقال يوحنا المعمدان عن السيد المسيح : "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم". (الإنجيل حسب يوحنا ١: ٢٩) وناشد بولس الرسول أهل الإيمان في مدينة أفسس قائلاً: "واسلكوا في المحبة كما أحبّنا المسيح أيضاً, وأسلم نفسه لأجلنا تقدمة وذبيحة لله, رائحة طيبة". (٥: ٢) .

وقد تكلم السيد له المجد عن موته وعن عمله الكفاري عندما أنشأ فريضة العشاء الربّاني فقال عن الخبز: "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم". (الإنجيل حسب لوقا ٢٢: ١٩) وعن الخمر قال المسيح: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا". (الإنجيل حسب متى ٢٦: ٢٨) ...

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل التاسع والعشرون: السيد المسيح أتم طقوس العهد القديم) ٣(

ذكرنا في الدرس السابق أن موت السيد المسيح كان ذبيحة كفّارية وأن هذا التعليم الهام مُستقى من الكتاب ولقد استشهدنا بعض آيات الكتاب عن هذا الموضوع. ونعود إلى ذات الموضوع فنقتبس من الكتاب هذه الشواهد:

"فإن الحيوانات التي يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تُحرق أجسادها خارج المحلّة. لذلك يسوع أيضاً لكي يُقدِّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب. فلنخرج إذن إليه خارج المحلة حامين عاره, لأن ليس لنا هنا مدينة باقية, لكننا نطلب العتيدة. فلنُقدِّم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح: أي ثمر شفاء مُعترِفة باسمه". (الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ١١- ١٥).

وكتب الرسول بولس عن هذا التعليم قائلاً: "إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب". (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٥: ٣)" الذي فيه – أي السيد المسيح – لنا الفداء بدمه". (الرسالة إلى أفسس ١: ٧).

وإذا عدنا إلى تعاليم كلمة الله في أيام العهد القديم فإننا نرى أن عمل المسيح الكفّاري أو ذبيحته الكفّارية قد وُصِف بكل دقة وبلغة واقعية للغاية. فقد كتب النبي العظيم أشعياء بوحي من الله واصفاً آلام وموت المسيح وقائلاً:

"لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها, ونحن حسبناه مصابا مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا, مسحوق لأجل آثامنا, تأديب سلامنا عليه, وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا, مِلنا كل واحد إلى طريقه, والرب وضع عليه إثم جميعنا... من الضغطة ومن الدينونة أُخِذ, وفي جيله من كان يظن أنه قُطِع من أرض الأحياء وأنه ضُرب من أجل ذنب شعبي... أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً, تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدي البار بمعرفته يُبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها... هو حمل خطية كثيرين, وشفع في المذنبين". (نبوة أشعياء ٥٣: ٤- ١٢).

وهكذا نجد أن العبارات المستعملة لوصف موت السيد المسيح مأخوذة في أكثرها من الطقوس المألوفة في الذبيحة ولذلك بناء على هذا التشديد الكتابي, فإن المسيحية كانت منذ نشأتها ديانة فدائية. والعهدان القديم والجديد (أي الكتاب بأسره) يتفقان كل الاتفاق على لأن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح يسوع يفدي المؤمنين به بواسطة موته الكفّاري على الصليب. وكان العهد القديم (أي الوحي الإلهي في أيام ما قبل الميلاد) يُشير نبوياً إلى المستقبل أي إلى أيام المسيّا المنتظر بينما نجد أن العهد الجديد (أي الوحي الإلهي في أيام ما بعد الميلاد) هو عهد تتميم وتكميل النبوّات المتعلّقة بالمسيح وبعمله الفدائي. وفي حياة الكنيسة المسيحية في عهدها الأول كان الانتقال من العهد القديم إلى العهد الجديد مُمهّداً وطبيعياً مثلما يحدث في نمو البرعم إلى الزهرة فالثمر. وكذلك علينا أن نذكر أن المسيحيين في القرن الأول من الميلاد كانوا معتادين على العبادة بواسطة الذبائح ولذلك فهموا تماماً تعليم الرسول بأن المسيح – نظير حمل الفصح – مات لكي تُغفر خطاياهم. وكذلك نجد التعليم العام بأن الخلاص من الخطية إنما يتمّ بنعمة الله لا بواسطة الأعمال. وبالرغم من كل هذا التشديد الذي نجده في الكتاب, نجد الكثيرين من الناس في أيامنا هذه ينقادون إلى تعاليم مبتكرة من قِبَل لاهوتيين غير مؤمنين ومُنكرين بأن المسيح إنما مات للتكفير عن خطايانا وأن الديانة التي أنشأها له المجد إنما هي فدائية بشكلٍ سامٍ.

ومهما حاول المبدعون بالظهور وكأنهم جادّون وراء الحق الإلهي إلا أنه يجدُر بنا أن نتذكر أن الحق الإلهي ليس بأمر يُكتشف من قِبَل الإنسان, بل هو عبارة عن وحي من الله, وحي مكتوب ومدوّن في أسفار أو كتب نبوية. ندعو أسفار الوحي باسم الأسفار المقدّسة أو الكتاب المقدس. فعندما نخضع خضوعاً تاماً لتعاليم الكتاب لابد لنا من القول بأن المسيح ترك لنا إيماناً لا يمكن فصله عن عمله الكفّاري الذي قام به على الصليب. وعبر العصور والأجيال المتعاقبة في القرون الماضية اعترفت الكنيسة المسيحية المؤمنة بأن السيد المسيح: "من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد بالروح القدس ومن مريم العذراء وصار إنساناً, وصُلِبَ أيضاً عنّا على عهد بيلاطس البنطي, تألم وقُبر وقام ي اليوم الثالث كما في الكتب, وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب, وسيأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات, الذي ليس لملكه انقضاء. (من قانون الإيمان).

ولم تكتف الكنيسة الأمينة بالاعتراف الشفوي بهذه الحقيقة الهامة بل استشهد العديدون من المؤمنين والمؤمنات في سبيل هذا المُعتَقَد لأنهم علِموا كل العلم بأن المسيح الفادي والمُحرِّر يطلب من المؤمنين به الطاعة التامة والأمانة الكُلّية.

وهكذا بالرغم من الابتعاد الهائل الذي نجده في أيامنا في أواسط عديدة كانت تدعى فيما مضى بمسيحية, وبالرغم مما يخبّئه لنا المستقبل من أمور صعبة, فإن الله تعالى يطلب من المؤمنين بأن يتسلّحوا بالإيمان القويم: إيمان الرسل والأنبياء وينظروا دوماً "إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله: يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مُستهيناً بالخِزي فجلس في يمين عرش الله". (الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com